



الطبعة الثانية
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

اهداءات ٢٠٠١

١. صلاح راتب
القاهرة

جميع حقوق الطبع محفوظة

دار الشروق

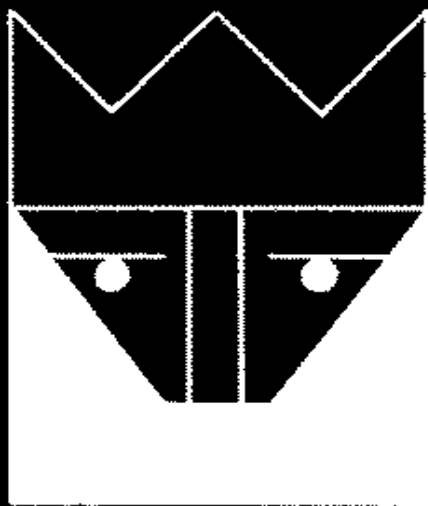
توزيعات: ص.ب. ٨٦٤ - الدار - ٢١٤١٠١ - القاهرة - تليفون: ٥٢٥٥٥٥٥٥
الفاكس: ٥٢٥٥٥٥٥٥ - ص.ب. ٧٧٤٥٥٥٥ - الدار - ٢١٤١٠١ - القاهرة - تليفون: ٥٢٥٥٥٥٥٥

الحمد لله الذي هدانا لهذا چهو كنا لملا صلاح عبد الصبور

دار الشروق

إلى الملكة الأسيرة

الفصل
الأول



« الستارة هابطة . وأمامها إلى يمين المسرح منظر شط نهر وكوخ صغير . لا دقائق للمسرح ، بل تبدأ الموسيقى هادئة ، ثم ما تلبث أن ترتفع ، وتتحول أنغامها لما يشبه استعراضات السيرك ، أو افتتاحيات الأوبرا كوميك . ثم تدخل من القصر ، أي من وراء الستار - ثلاث من النساء في زينة واضحة التبرج ، ولي يد كل منهن ورقة كأنها تراجع دورها . وحين تعطين الموسيقى إشارة البدء يقفن أمام الستارة على مسافات متساوية ، ثم تعطين الموسيقى إشارة البدء بالكلام .. »

المرأة الأولى

أهلاً بكم ... سيداتي سادتي في مسرحنا ، ونشكركم لتلبية دعوتنا ، وإن كانت هذه الدعوة ليست خالصة . فنحن نعلم - أنكم أو معظمكم - قد دفع ثمن تذكرته ، وربما لم يقلت من هذا الأمر الثقيل سوى من له أصدقاء أو أقارب بين الممثلين أو موظفي المسرح أو موظفي المؤسسة أو الهيئة . وعلى كل ؛ فهذا لن يقلل من حفاوتنا بهم ، فهذه مسألة جانبية بالنسبة لنا ، فإن قروشكم لن تدخل جيوبنا ، كما أننا سنتقاضى مرتباتنا سواء أجتثم أم لم يجيثوا ... امتلاً مسرحنا أم كان مقفراً تتردد فيه بدلاً من أنفاسكم أنفاس الأخشاب والحجارة .

والمرحبة التي نقدمها لكم الليلة من تأليف شاعر يدعى صلاح عبد الصبور ، وهو رجل أسمر ذو نظارات كان يزورنا أحياناً في أثناء البروفات ومن إخراج ...

المرأة الثانية

والمؤلف والمخرج كما تعلمون يستأثران بشمرة نجاح العمل المسرحي ، وينصب لهما النقاد - وهم أصدقاؤهما عادة - نخيمة من الثناء ... يقولون إن المؤلف قد تفوق على نفسه ، وإن المخرج قد ألف عرضاً مسرحياً باهراً ، أو غير ذلك من العبارات الرنانة التي لا معنى لها ، وينسى النقاد عادة جهد الممثلين الذين يقع على كاهلهم العبء الأكبر ، وبخاصة إذا كان دورهم ليس رئيسياً كدورنا نحن اللائي نقوم بدور محظيات الملك ، بجانب بضعة أدوار صغيرة أخرى . ولذلك فاسمحوا لنا أن نتحدث إليكم من حين لآخر وأن نذكركم بأنفسنا في نهاية العرض هذا بالطبع إذا أحسنا أن العرض أعجبكم ، واننا سنحظى بإعجابكم وتصفيقكم هكذا (يصفقن) لا بلعناتكم ومصمصة شفاهكم هكذا (يمصمصن بشفاههن) .

المرأة الثالثة

والمسرحية التي نعرضها الليلة عن موت أحد الملوك ، وقد استخرج المؤلف من أحد الكتب الصفراء التي يدمن قراءتها إحصائية غريبة تقول : إنه يموت في كل دقيقة تسعة وثلاثون ألفاً وسبعمائة وأربعة وخمسون من البشر ، بينما يموت ملك واحد كل ثمانية أعوام وخمسة أشهر . ومن هنا فإن موت أحد الملوك ليس أمراً عادياً ، بل هو جدير بأن يلهم شاعراً ما إحدى مسرحياته .

المرأة الأولى

وهذه المسرحية عن آخر ملك مات منذ ثمانية أعوام وخمسة أشهر ،
وقد يسأل سائل ذكي : ملك أي البلاد كان هذا الملك ؟

المرأة الثانية

وواقع الأمر أن المؤلف لم يخبرنا ، وربما كان قد أخبر المخرج ،
الذي أخبر مدير المسرح ، الذي سألناه فقال مصطنعاً لهجة الجد
الشديد :

المرأة الثالثة

هذا الملك .. آه .. بالطبع .. تقريباً هو ملك لإحدى المدن الكبيرة
التي تقع على مجرى نهر ، قد يكون بجانبها بحر واسع أو جبل شامخ ..
وهي مدينة واسعة طبعاً تشقها طرقات كثيرة ، تتعرج أحياناً وتستقيم
حيناً آخر ، وتتناثر فيها الأسواق والمعابد والصيدليات والحانات
والمدارس والسجون ... وأماكن أخرى .

المرأة الأولى

وقال مدير المسرح أيضاً نقلاً عن المخرج نقلاً عن المؤلف إن هذا
الملك ظل يحكم المدينة عشرة أعوام ، وإن كان مؤرخه الرسمي
- الذي سترونه فيما بعد - قد أثبت في أحد أبحاثه الرصينة المذيلة
بالمراجع الهامة كدائرة المعارف البريطانية ومختار الصحاح وتقويم
العبقري الفلكي وأصول التدبير المتزلي وغيرها ، والمحلة بالصور

الزئكوغرافية لتطور توقيعات الملك ، وبطاقاته الشخصية والعائلية ...
أثبت هذا المؤرخ الحصيف أن المملكة لم تعرف طوال تاريخها ملكاً
غيره ، وأن اسمه على الأزمان المختلفة كان أنوبيس الأول ،
وجورجياس التاسع ، وابن طولون الثالث ، ولويس الرابع والثلاثين ،
وعبد الرحمن الخامس ... إلى آخره .

المرأة الثالثة

ولما كنا - نحن البشر العاديين - نحب أن نتلذذ بمشهد ارتفاع السادة
وسقوطهم ، فقد أثر المؤلف أن يبدأ العرض بمشاهد من حياة الملك
السعيدة ، ثم يرينا مشاهد من موته ، وما حدث بعد موته ، وذلك
لكي يجعلنا نحس ... بالتشفي .

المرأة الثانية

والتشفي عاطفة لم يتحدث عنها أرسطو حين قال : إن دور الدراما
هو بعث عاطفتي الشفقة والخوف ، ناسياً أجمل العواطف البشرية
الرفيقة التي تفوح في ثنايا النفس كالوردة العطرة ، وهي عاطفة
التشفي .

المرأة الأولى

وبالمناسبة ، لقد قلنا ذلك لمدير المسرح الذي نقله بدوره للمخرج ،
الذي نقله بدوره إلى المؤلف ، فأنكر المؤلف ذلك ، بل إن وجهه
احمرّ خجلاً ... أو على الأصح ازرقّ خجلاً وقال :

المرأة الثالثة

لا .. لا .. فأنا رجل يتمتع بالأخلاق الحميدة ، ولن أسمع ،
لعاطفة كالتشفي أن تعيش في نفسي ، ولكن .. ارجعوا لأرسطو
صفحة ٤٣ من كتاب الشعر لتعرفوا ماذا أريد .

المرأة الثالثة

وبحثنا عن كتاب أرسطو ، فإذا بجميع مثقفينا لا يعرفون شكله ،
وجميع الذين يتحدثون عنه لم يقرأوه ، وأخيراً وجدنا نسخة قديمة
منه عند أحد باعة الصور العارية وفتحنا الصفحة ، فإذا بها تقول :

المرأة الثانية

وينبغي على الشاعر الدرامي أن يرينا العظماء في حال ارتفاع نجمهم
وتألقه ، حتى إذا انتقلوا من حال السعادة والنعم إلى حال التعاسة
والشقاء أشفق المتفرج عليهم ، وتألم لمصائبهم ، إذ أن انتقال العظيم
من الارتفاع إلى الانحدار ، يشير في النفس من المشاعر أكثر مما
يشيرها انحدار من لم يعرف طعم السعادة ، ولم يذق حلاوة النعم ...

وفي أثناء سرد الاقتباس ، تبدأ الموسيقى ، ثم ترتفع حتى تغطي على صوت المرأة الثانية ، رغم ما
تبدله من جهد في الصراخ ، وينفجر في الوقت ذاته الستار عن قاعة العرش التي تمثل الجزء
السفلي من المشهد .. قاعة واسعة يتوسطها مقعد ملكي ضخم . في عمق المسرح الأيسر درج يلود
إلى الغرف الملكية التي تكون الجزء العلوي من المشهد . وهي مظلمة الآن ..

وسط قاعة العرش يقف الملك مزهواً ، ووراءه صف من الرجال متشابهي الملابس يمايزون بأخطبة
رؤوسهم . ملابسهم كلهم زرقاء ... هؤلاء الرجال هم الوزير والمؤرخ والقاضي والشاعر والجلاد ...
وقد يرى المخرج أن يلصق على ظهر كل منهم قطعة من القماش تدون عليها مهنته ، كالأرقام
التي تلصق على قمصان لاعبي الكرة ..

تتحول الموسيقى إلى موسيقى رقص . ليكن الفالس أو غيره من الرقصات ، وتتجه النساء على إيقاعها ليقفن صفاً أمام الملك ورجاله ، ثم يثبن في أوضاعهن كالدمى . وتنقسم إليهن نساء أخريات .. الثنات أو ثلاث أو أكثر ..

يشير الملك إلى الأولى في صف النساء ، فتدب فيها الحركة فجأة ، وتتقدم إليه بخضوع ، ويلاحظ في هذا المشهد أن الموسيقى تنطلق حين يصمت الملك ، وتصاحبه بإيقاعاتها في كل حركاته ، وكأنها إطار لكلماته ، ويلاحظ أيضاً أن الحديث بين الملك والنساء يدور في صوت بين النجوى والخطابة ، ويطلب عليه طابع الإستعراض ..
يغاصر الملك المرأة مراقصاً ..

الملك

كالكأسِ المقلوبةِ يتدَوَّرُ صدْرُكَ

المرأة

مولاي .. ائذنْ والمسه في خلوةِ
يتصببُ خمرًا حتى تبتلَّ أناملكَ الحلوةِ
أو يسعى مزهوّاً في نعمةِ عينيكِ
حتى يَنْدَى في زهرةِ شفَتيكِ

الملك

يشنى جسمُكَ في لينٍ متكسّرٍ
ويجاوبُ أطرافي في إيقاعاتٍ رنخوةِ
كالحقلِ النائمِ في دفءِ الصبحِ الشتويِّ الأشقرِّ

المرأة

مولاي

أرسل أنفاسَكَ في جلدي كالريحِ المرحه

لتهزّ ثماري ، وتكومها ناضجةً مفتحةً بين يديك
ضَعُ تحت ثيابي شمسَ الظهرِ بكفِّيك
بَتَخَلِّعْ جسمي عندئذٍ ، يترشف هذا الوهَجَ المترفُّ
وينام قريراً ممتناً بالفرحة
كالحقل النائم إعياء في حُمرة آصال الصيف

الملك

فخذاك عمودان يقودان إلى النبعِ المكنونِ
المستغرقِ في سَبَّحات تأمل ذاتِة
في باطنِ مرآةِة

المرأة

مولاي

فلتسلل كإله الغاباتِ السحريةِ
تتقدمك القوسُ المرفقةُ الفضيَّةُ
ولتهبطُ بين شجيراتِ الوردِ الملتفةِ
ولتنزلَ ضيفاً في أرضِ الظلِّ القمراءِ
أرضٍ ساكنةِ دوماً ، غائمةٍ بثارِ الأنداءِ
حتى تصلَ إلى النبعِ المكنونِ
أنفِذْ قوسَكَ في صفحةِ مرآةِة
واشغله عن سبَّحات تأمل ذاتِة

الملك

يتوقف فجأة . ويتزع المرأة من ذراعيه لتصلب في مكانها كأنها دمية .

أوف ، ما هذا الضجر الموحش كالصحراء
قلنا هذا من قبل ...

نفسُ الكلماتِ الباردةِ الملساءِ
قلناها أمسِ ، وأمسِ الأمسِ
عودي للصفِّ
يا هذا الشاعر

الشاعر

مولاي !

الملك

هل تدري لِمَ أطعمُكَ وأكسوك ... ؟
تأكل كالثعبان إلى أن تغلبك التخمَةُ والإعياءُ
وتعبُ الخمرِ كأنك أرضٌ عطشى للماءِ
أمر لك بالأقلامِ وبالأوراقِ وبالحبرِ ،
وبالتزهة في شطِّ البحرِ
كي تستلهمَ شيطانَكَ أو عفريتَكَ ، أو
وحيكَ أو ما لا أدري من أسماءِ
بل إني أسمحُ لك بالنومِ إلى قربِ العصرِ

إِستثناء لم يَحْظَ به أحد من أتباعي الخلصاء
فلماذا ؟

الشاعر

كرم مشكور من مولاي

الملك

لا ... لستُ غيباً حتى هذا الحد
حتى أعطي ، لا أنتظر الرد
إني ألقى في بطنك أحمالاً من خمر وطعام
حتى تطفحَ بطنك شعراً ، يستأهلُ ما أبدله من إنعام
أذكر حينَ دخلتَ معيتي الملكية
أنك قلتَ بصوت منهالك
... كنت نحيلاً كجرادِ الصحراء
متسخاً ... مثلَ حذاء

الشاعر

« محتجاً في نهالك »

مولاي ا

ليس إلى هذا الحد ...

الملك

لم يعجبك التشبيه

لك حق

علمني - عندئذ - كيف أشبه شيئاً متسخاً

دعنا من هذا ...

هل تذكر ما قلت ؟

الشاعر

أذكرُ يا مولاي

الملك

وأنا أيضاً أذكر

أذكر أنك قلت بصوت متعثر :

حتى لا يهزأ بي أصحاب الشعراء

ويقولون إذا اجتمعوا في مقهاهم إنني أتسولُ بالشعر

فضلاً عن أن النقاد يقولون بأن العصر

يأنفُ من إزجاء الكلماتِ إلى أعتاب الأمراء

لغو مضطرب المعنى ، لكني لم آبه له

فأنا لا يعنيني أن تمدحني كلماتٌ تذهب في الريح

تمدحني أفعالي ... يمدحني التاريخُ

لن أتسلل في أرض التاريخ كشحاذٍ يلتفُ بأسمالٍ مهترئة

وعليها بُقِعَ من سيء شعرك

ولهذا لم آبه لكلامك .. قلت

أنا لم أدخلك معيتي لتمدحني
بل كي أسمع صوتاً يؤنسني .. ينعشني
يجعلني أشعر .. أني .. أني ...
إنك تدري أني رجل تثقله الأعباء
حتى لا أجِد الوقت لكي أستمتع بالدنيا
مثل العامة والدهماء
لَمْ أكن محتاجاً لقصائد مدحٍ تتغنى بي
بل محتاجاً لقصائد حب ، لتُغني لي ، تخرج بي من أجواء الإعياء
لتلقني لي ، وتلقني للمحظيات
حتى تنعشني .. هه .. يجعلني أشعر أني أرغب فيما يرغب فيه
العامة والدهماء
وسألتُ ، فقالوا :
إنك أبرعُ من يكتب شعرَ الحب الفائرُ
فبعثتُ إليك
الشاعر
كانت أشعاري ترضي ما يبغيه مولاي
حين تسيلُ على شفثيه أو شفثي إحدى المحظيات
الملك
والآن ...
ما زلت تكرر نفسَ الكلمات

نفسَ الخطرات ونفسَ التشبيهاً
لِمَ لَمْ تكتبَ شيئاً أجمل من هذا الشيء الفاتر
وتلقنه للمرأة
أسبوعانِ الآنَ ، ونحنُ نقولُ
كالكَأسِ المقلوبةِ .. مولاي .. كالكَأسِ المقلوبةِ .. مولاي

الشاعر
معلنةً يا مولاي
لكني قد لقنتُ الأخرى كلماتٍ مبتكرة
قد ترضي رغبتكَ الملكي
الملك

قد ... قد ... دوماً قد
لا شيءٌ مؤكد
سنرى .. أنتَ تعالي

«دب الحياة في المرأة الثانية ، ويرتفع صوت موسيقى الرقص ، يتأملها الملك ، ثم يعود إليه
تهلله ، ويبدأ في مراقبتها ، وتصاحب المرأة الموسيقى بصوتها المنهم » .

الشاعر

«ملقناً الملك في صوت عظيم»

يتنزلُ صوتكُ مثل رنين الجرسِ الفضي المتفرد يتقطرُ من برجٍ
متشح بمروج الغيم الزرقاء

الملك

يتنزل صوتك مثل رنين الجرس الفضي المتفرد
يتقطر من برج متشح بمروج الغيم الزرقاء

المرأة الثانية

يغدو أصفى حين يغرد في فضة أعطافك
يغدو مكتوماً ونقياً كصدى قطرات الخمر الوردية
حين تفيض على وجه الكأس البلورية
خذني ... يا مولاي

الشاعر

« متدحلاً ، ولقد ألغى ما صنعتته المرأة »

لا .. لا .. قد ضاع المشهد
نسيت هذي المرأة أجمل ما فيه
سامحني يا مولاي

« للمرأة »

ما زال هناك حديث عن قيثارة حنجرتك
والأوتار تنشد مولانا أن يلمسها بأصابعه النورانية
ما زال هناك حديث عن إغماضة عينيك ، وأنت تغنين
وتقولين لمولانا عندئذ إنك تحترقين
شوقاً أن يرقد مولانا في دفء الأمواج العسلية

وأخيراً ، كان جلالته سيقولُ
خطواتك كالموسيقى إذ تتوافق في ذهن الفنان
عندئذ كنت تقولين
بَعْرُ هذي الأنعام على سلم رغبتك الملكيَّة
وبصوتٍ بتقطع آهاتٍ في حلقك ، تنتفضين وتقولين :
خذني يا مولاي
الملك

آه .. ما أتعسَ حظي
راقت لي الألفاظ كثيراً هذي المرة
لكن نسيتهَا هذي المأفونَة
لا شيء يتم كما نهوى ، والأيامُ الحلوة لا تتكررُ

« يلتفت الملك للمرأة الثالثة ، وحين يهيم باستدعائها ، وتوشك الحياة أن تدب فيها يدخل النادي الملكي ، وهو قزم أحذب ، معلناً بصوت وصدى معاً : »

النادي

يا مولاي .. لاي .. لاي .. الخياط الملكي .. كي .. كي ..
يستأذن أن يدخل .. خل .. خل .. كي يعرض يا مولاي .. لاي ..
لاي .. بعضاً من .. من .. من

الملك

يكفي .. يكفي .. فليدخلُ

لحظة

اسمع يا بهلول

هل لك زوجة ؟

المنادي

لا أملك ما ينفعُ للزوجة يا مولاي

الملك

تملك قربك مني

المنادي

ما يعني الزوجة حين يجن الليل ،

وتقتربُ الساق من الساق ، ويدعو الميلُ الميلُ

هو قربي منها

لا قربي من مولاي

الملك

«صاحكاً ، ومشيراً للمرأة الثانية ، التي تتحرك نحو المنادي في فتور حين تسمع حديث الملك»

بهلول

خذ هذي المرأة زوجاً لك

وسترضى عنها حين تزولُ الكلفه

وتحلُ الألفه

المنادي

لن ترضى هي عني يا مولاي

الملك

هذا دأبُ الزوجاتِ جميعاً

يوماً يغضبُن ويوماً يرضيُن

إن غضبتُ صالحها يا بهلول

المنادي

أسفاً يا مولاي

لا أملك ما أبعثه مندوباً عني

يسترضيها إن غضبتُ مني

الملك

ويحك يا بهلول

هل ترفض هبتي

أتراها أهونُ من قدرِكَ عندي

المنادي

بل هي أعلى من قدري في نفسي

أنظر يا مولاي

هني اسطعتُ تسلقَ هذي الساق المنصوبه

ماذا أصنعُ في هذي الفخذ المنصوبه

أو هذا البطنِ المترع
أو هذين الشدين المنتفضين
أو هذا العنق المشرع
أو هذا الخد اللامع
أو هاتين العينين الجارحتين
لا .. لا ..

هي أعلى جداً من قدري يا مولاي

الملك

الأمرُ بسيط

لا يجعلها تتمددُ في فرشك كالرمح
طبقها طياتٍ طياتٍ كالورقة

المنادي

هذا يستدعي أن ترقد في جانبنا يا مولاي
حتى تأمرَها فتطيع

الملك

شرطُك مقبولُ

والآن .. اذهب .. ناد الخياط

لحظاتٍ .. يا قاضي الملك

القاضي

أمرك يا مولاي

الملك

زَوْجُ عَبْدِي هَذَا مِنْ جَارِيَتِي تِلْكَ الْآنَ

القاضي

مولاي !

قد يذكر مولانا قانوناً أصدره مولانا
يقضي ألا ينقصد العقد سوى في بيت العدل

الملك

ما هذا يا قاضي السوء

ما دمتُ أنا صاحب هذي الدولة

فأنا الدولة ... أنا ما فيها ، أنا من فيها ...

أنا بيت العدل ، وبيت المال ، وبيت الحكمه

بل إني المعبد والمستشفى والجبانة والحبس

بل إني أتم ، ما أنتم إلا أعراض زائلة تبدو في صور منبهمة
وأنا جوهرها الأقدس

«مثيراً لنفسه»

فلينقصد العقد ... ببيت العدل

القاضي

ما أروع هذي الفتوى يا مولانا الأعظم

لا أدري كيف تولت عن ذهني المعتم

إنك تغذونا دوماً بلطائفِ فطنتك الفقهية
سأسجل هذي الفتوى في أوراقى
وسأكتبُ عنها بحثاً في موسوعتي التشريعية .
« يسحب أوراقه »

الملك

يا قاضي سوء
قبل الملق الشفافِ كبصقةِ سوقى
افعلْ ما قلت ، واخلُ التسجيل لما بعد

القاضي

أمرك .. يا مولاي

« ينظر إليهما ، ثم يستدليهما ، ويقول »

كونا زوجين

كونا زوجين

كونا زوجين

الملك

والآن .. اذهب يا بهلول وناد الخياط
خذ هذي المرأة في ذيلك

« يتحرك النادي والمرأة ، ويمبران أمام عيني الملك ، الذي يلحظ مظهرهما المتنافر غير المنسجم ،
لما يلبث أن ينادي بهلول قبل أن يخرج : »

يا بهلول .. عدّ يا بهلول

«نفسه»

إيه .. لولا ضعفي نحو القيم التشكيليّة
التكوين رديء ... مملوء بالأخطاء الفنيّة

يا قاضي السوء

افصل بينهما ، ولنحفظ هذي المرأة للخياط
فهو طويل القامة ، نوعاً ما

القاضي

«يرققهما أمامه ، وينظر إليهما قاتلاً» .

كوناً منفصلين

كوناً منفصلين

كوناً منفصلين

الملك

اذهب يا بهلول ، ونادِ الخياط

المنادي

لكنك لن تنسى وعدك لي مولاي

أن تغشى بيتي يوماً ما

الملك

لن أنسى يا بهلول

يعجبني أنك لا ترضى أو تغضب
ولعلك في باطنِ نفسك لا تأبه
لا تعرف ما يدعو بعض الناس
بالنخوة .. أو ما أشبه

المنادي

«بخرج وهو بنادي»

يسمح مولاي .. لاي .. لاي لتابعه الخياط .. ياط .. ياط ..
بأن يدخل .. خل ... خل

«يدخل الخياط مندفعاً ، كأنه كان يعدو ، وعندما يقف أمام الملك يشرع في قرص لخلديه وخديه» .

الخياط

دلوني يا سادتيَ بنجوم المجد
هل أنا في حلم أو في يقظه
هل أنا حقاً في حضرة مولانا البدر المتجسد
تنهلُ عيني من رائق أنواره
ها أنذا أقرص نفسي كي أتأكّد
لكن النور يعشي عينيّ الذاهلتين

الملك

«مبتسماً»

عندئذ ، فلتصفع نفسك

فلعلك تتأكد
أو دعني أصفعك أنا

الخياط

«مقرباً وجهه»

مولاي
أكرم هذا الخدّ

الملك

لا يغريني وجهك ، بل وجهك
لك وجهٌ تبديهِ ، ووجهٌ تخفيه
وكلا الوجهين دميم متجعد
لا يرضى لي خلقي أن أصفعَ وجهاً مرّنتُ ناحيته
على الصفع
لا أصفع إلا وجهاً لم يُصفعَ من قبل
آه .. لولا ضعفي نحو الضعف البشري

«يدبر رأس الخياط في يده»

خذ رأسك ، يكفيني أني أعرف كيف أحركها كالمغزل حين
أشاء .. وأقبلُ
ما جاء بك اليوم ؟

الخياط

مولاي

أرسل لي صهري خياطُ أميرِ بلادِ الغربِ

قطعةً مخمل

بيضاءَ الطلعةِ ناعمةَ الهدبِ

ما كدتُ أراها حتى .. آه .. كان لقاء يا مولاي

أحسستُ بقلبي في أضلاعي يتوثب

ومددتُ يدي في وَلَهٍ كي أُلَمَسَها لمسَ النسيمةِ للأغصان

حين استرختُ فوق الزغبِ الناعمِ كقفاي الراعشتان

داهمني تيارُ الرعدةِ يتغلغل في جسمي المتلهب

ثم تدفق شيء في أطرافي كالدم حين تحركه الحمى

وتفتح باطنها في خجلٍ للامستي الحلدرة

إذ نبضت في كفي شعراتٌ دافئة تتمدد تحت الزغب الأشهب

فاشتدت بي الرعدة ، وانبهرت أنفاسي الخدره

ملتُ إليها لأقبلها ، فانكملتُ ، وهي تقول :

أنا بكر لم ألتف على ساقِي بشري من قبل

الملك

أو هذا ما قالتَه القطعة ؟

الخياط

هذا ما سمعته أذناي ، وحققك يا مولاي

عندئذ قلتُ لها :

إنك أعلى قدراً من أن تلتقي في ساقبي بشريُّ

مخلوقٍ من طينٍ ودماءٍ

لا يأتلفُ النور سوى بالنورِ الوضأءُ

وسأحملُك لمولانا البدرِ الأنورُ

وجَمَتْ عندئذ ، وارتعد الزغبُ الناعم في استحياء

الملك

وجَمَتْ .. ٩١١

الخياط

وحقك يا مولاي

هذا ما كان

وجَمَتْ ، واهتز الهدب الوسنان

ثم أجابت في صوت خجلان :

لكن مولانا ذو تاريخ مروي في العشق

وأنا ساذجة لا أعرف شيئاً من ألعاب الخلان

قلتُ لها : لا تخشي شيئاً ، ودعي لي هذا الشأن

سيداعبك اليوم مقصُّ الفن

يتحسس أطرافك

ويميل على وسطك

حتى يتدور عطفك ، ويبرز ما تحت الجلد الناعم من وهج العرق

فانسابتُ عندئذ في أقدامي ، وَهِيَ تقول :
شكّلني أرجوك

حتى يحظى جسمي المشتاقُ ، وقلبي المنهوكُ
بملاسة الغالي في العشاقِ
إذ توشك أن تمزّقني الأشواقُ
لكني جثتُ بها بكرةً ساذجةً يا مولاي
إن راقتم فاعهد لي برعايتها حتى تنضج
في بضعة أيام

الملك

المهنةُ خياط
واللهجةُ لهجة نخاس أو قواد
أرنيها ...

الخياط

أبسط كفيك لها يا مولاي
أنزلها منزل عطف في ظلك

الملك

« وهو يغالب إعجابه »

لا بأسَ بها ، والتصميم

الخياط

هوذا ... يا مولاي

الملك

لكني أوشك أن أنسى في غمرة ثرثرتك
أن اللونَ الرسميَّ هو الأزرق

الخياط

ولماذا لا تجعله الأبيضَ يا مولاي
من بدء العام ؟

الملك

تعني أن نرجعَ للأبيض
فلنأخذ رأيَ مؤرخي الرسميِّ

المؤرخ

رهن إشارة مولاي

الملك

منذ متى كان اللونُ الأبيضُ لونَ الدولة ؟

المؤرخ

في أول مائتي عام من حكمك يا مولاي

«عاماً للملك»

أعني في العامين الأول والثاني

كان شعارُ الدولة في ذاك الوقتُ

«إلبس ثوباً أبيضُ»

«يغلو قلبك أبيضُ»

الملك

لِمَ أبدلناه ؟

المؤرخ

دعني أسألُ أوراقي يا مولاي

كنا عندئذ ندعو للنسيان الأبيض

ولطرح الماضي في الأكفان البيضاء

ومواجهة الأيام القادمة بفكر أبيض

الملك

ماذا اخترنا بعدئذ من ألوان ؟

المؤرخ

«ناظراً في أوراقي»

اللون البني

كان شعارُ الدولة في ذاك العهدُ

«البس ثوباً بنيّاً»

«تصبح رجلاً وطنياً»

لِمَ يقدرُ بعضُ العامة أن يرتفعوا للحظاتٍ التاريخيّة

أَنْ يَدْعُوا أَيَّامَ الْمَيِّتَةِ فِي مِثْوَاهَا ، وَيَعِيشُوا لِلْغَدِ
وَتَمَثَّلَ هَذَا فِي بَعْضِ الْعِجْزَةِ مِنْ فُتْرَانِ الْكُتُبِ الصَّفْرَاءِ ،
وَمِنْ قِسْمِي الشَّخْصِيَّةِ

فَدَعَوْنَا لِلْحَقْدِ عَلَى الْمَاضِي ، لَمْ نَكُ نَبْغِي حَقْدًا أَسْوَدَ
فَالْمَاضِي أَهْوَنُ مِنْ أَنْ يَمْلَأَ قَلْبًا بِالْحَقْدِ
وَطَلَبْنَا مِنْهُمْ حَقْدًا بَنِيًّا

الملك

وَمَتَى اخْتَرْنَا اللَّوْنَ الْأَزْرَقَ ؟

المؤرخ

فِي الْقَرْنِ الْمَاضِي يَا مَوْلَايَ

«هَامِسًا لِلْمَلِكِ»

أَعْنِي فِي الْعَامِ الْمَاضِي يَا مَوْلَايَ

الملك

قَرْنٌ ، أَوْ عَامٌ ... لَا أَحَدٌ يَصْدُقُ مَا تَرْوِيهِ
مِنْ هَذَا اللَّغْوِ السَّادِجِ إِلَّا أَنْتَ
وَلِمَاذَا اخْتَرْنَاهُ ؟

المؤرخ

كَانَتْ رَايَةُ دَوْلَتِنَا تَنْشُرُهَا رِيحُ السَّعْدِ عَلَى بَحْرِ الْآفَاقِ
وَاسْمُ جَلَالَتِهِ يَبْصُرُهُ الرَّائِي مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

منقوشاً بحروف من نور وضاء
في ثوب القمر اللبني
أو في أستار السحب الزرقاء
ولذلك كان شعار الدولة
«البس ثوباً أزرق»
«تغدو أقرب للمطلق»

الملك

«للخياط»

طيب .. أرني التصميم
إن راق لذوقي استبدلتُ الأبيض بالأزرق
فلنأخذ رأي وزير القصر

الوزير

«لن حوله»

هل يدعوني مولاي ؟

الملك

أقدم وانظر ... شاركنا الرأي
هذا الزر .. أليس من الأنسب أن يرتفع من الصدر
حتى قرب الرقبة
ما هذا .. تطريز .. لا .. لا ...

بل إنَّ الأنسبَ أن ينتقل من الجييين إلى الكمين
هذا يجعله أجمل .. ما رأيك .. قل لي .. ما رأيك

الوزير

«بعد طول تمنٍّ»

الرأي لمولاي

الملك

أيهما أفضل .. الجييين أم الكمين ؟

الوزير

ما قد نطق به مولاي

الملك

أوه ... أنتَ غبي .. عد لمكانك

ذكرني يوماً أن أصدر لك

أمري أن تقتلَ نفسك

الوزير

سأذكر مولاي

الملك

يعجبني التصميم كما عدلته

يا سادة

سيكون اللونُ الأبيضُ لونَ الدولة في العام المقبل

لينفذ كل منكم هذا فيما يعنيه
وليرسل هذا الأمر الملكي إلى كل الكتبة والمحسنيين
أما أنت ، مؤرخنا الرسمي
فليتفتق ذهنك عن كلمات موجزة نرسلها كشعار للدولة
كلمات تختلف عن الكلمات الأولى
ليكن مغزاها المفضل
أنا اخترنا اللون الأبيض حتى نفنى سعداء محبوبين
في حال الصفو الشامل
فلقد دمجتنا النعماء المشتركة ، حتى صرنا كملائكة بيض
نفنى في الذات البيضاء الكلية
... الذات البيضاء الملكية

المؤرخ

أمرك يا مولاي

الملك

« اللخياط »

ماذا تنتظر الآن ؟

الخياط

لطفك يا زينة هذا الكون

واجعل لطفك يا مولاي

ذهبيّ اللون

الملك

بل أجعله فضيّ اللون

يا جلاد

ضع سيفك في كتفيّ هذا الوغد

الخيّاط

مولاي .. ارحمني

هل أخطأتُ التعبير

لم يك ذلك عن عمد

يشفع لي حسنُ القصد

لا أبغي شيئاً ، أعطاني تقديرك ذوق أئمن ما أبغيه

يعدلُ عطفك عندي كلّ كنوز الأرض

الملك

عَجَلُ يا جلاد

الخيّاط

« للجلاد »

رفقاً يا رجلُ برأسي ، دعني أتملّئ بعض الوقت

من طلعة مولاي

« للملك »

هل يمزح مولاي معي ، ما أحلى مزحك يا مولاي
لولا إني مخلوعُ القلب ، غبيُّ العقلُ
أنظرُ يا مولاي ..
إني أرتعد الآن كقطُّ مشتعلِ الذيلِ
« يرتعد أمام الملك »

اضحك يا مولاي إلى أن يتألق فمك العذبُ
وأسفا لا يضحك مولاي
دلوني يا سادة
هل هو غاضبُ
هل نبست شفتاي بسوء أدب
فأنا أحياناً يُفْلِت مني القولُ
الملك

عجل ... يا جلاد

الخياط

رأسي لك يا مولاي
لو أملك أن أخلعها كحذائي لفعلتُ
طوعاً لإرادة مولاي
لكنني أبغي أن أعرف قبلَ ملاقاتِ الموتِ
هل هذا غضب من مولاي ... ؟

الملك

لا شأن لسخطي أو لرضائي في هذا الأمر
بل هذا من تدبير شؤون الدولة
إني أنزع مضطراً هذي الرأس المبتذله
رأساً لا ثمن لها ، كي أحمي أغلى ما نملك
وهو جلال الملك

لا أرضى أن تخرج من هذا القصر
مملوءاً باطنك الفارغ بفقايع الفخر
تتصور أنك ألهمت الملك - أنا - تغيير شعار الدولة
تحكي هذا للحمقاء قعيدة بيتك
حين يضمكما فرشكما الرث المستهلك
ما بين فواصل ألعاب العهر
كي تحكيه للحمقاوات الجارات
متدلية كالمخطة من شباككما المغبر
أو تحكيه أنت لأصحابك في الحانات
حين تدور برأسكم الخمر
يا جلاد

خذ منه التصميم ، وخذ رأسه

الخياط

يامولاي

ارحم ضيعة أطفالي الخمسة
هم بعض عبيدك يا مولاي الطيب
ارحمني من أجلهم .. يا مولاي .. أتوسل لك
أتمسح في قدميك ككلب .
الملك

آه ... لولا ضعفي نحو الأسره
يدمي قلبي مثلك ، لكن يدعوني الواجب
أن أنفذ رأيي
آه ... لولا ضعفي نحو الواجب

الخياط

لن أتكلم ... يا مولاي
أقسم أني لن أتكلم
بل لن أنطق ما طال بي العمر
سأعيش كأبكم

الملك

واتنفي فكره
يا جلاد ... أطلق رأسه
واتزع أصل لسانه
من حنجريته

حتى تنجو الدولة من ثرثرته

اذهب ! اذهب !

« يخرج الجلاد بالخياط »

آه ... شكراً يا رب

من الله علينا بالرأي الصائب

والآن

يا أصحابي

كم أنهكنا تدير شؤون الدولة
استأذنكم أن أمضي للغرف الملكية

كي ألقى زوجتي المحبوبة

كم بقيت على الفجر ؟

المؤرخ

بضعة ساعات يا مولاي

الملك

سأعود إليكم عند الفجر

« وملتفتاً للنساء »

أنتن .. اذهبن .. وكلن ، ونمن

واحفظن أغانيكن

حتى ظهر الغد

أما أنتم

فابقوا في هذا الركن إلى أن أهبطُ
قد مخطر في بالي فكره
أو أحتاج إليكم في أمر

ويخفت الضوء في قاعة العرش ، بحيث يبدو رجال الحاشية كأنهم أشباح ، ويتقدم الملك بمصاحبة
الموسيقى الناعمة إلى الدرج المفضي للغرف الملكية ويفتح باباً في قمته ، ثم يدخل إلى غرفة نوم
الملكة التي تتموج الآن بإضاءة شاحبة .
الملكة ترقد على سرير رمادي الأغطية ، وقد أسندت رأسها إلى وسادة رمادية أيضاً ، وتهدل شعرها
على جانبي وجهها الشاحب الذي زادته الإضاءة شحوباً . وتوحي نومة الملكة وهيأتها بأنها مريضة
أو مقعدة .
لا تدهش الملكة لدخول الملك ، ويبدأ الملك في التخلف من بعض ملابسه ، ثم يجلس على مقعد
مجاور للسرير ، ويتغير صوته الذي عرفناه في المشهد السابق إلى صوت رقيق ودود .

الملك

معذرةً ، يا نجمي الأوحـدُ
يا كوكبي الغافي في عليائه
هل أبطأتُ قليلاً ، شغلتنـي عنك أمور الحكم
لكن ، ها أنذا إذ أدفع مقبض هذا الباب الموصد
أحمل من بحر الأنواء المزبد
وكأني تحملي ريح هادئة سجواء
فوق الكفين الناعمـتين
كي أغفو في شطآن بحيرتك الخضراء
عينيك الطيبتين الرائقتين

إيه ... ما أجمل أن ينفض ظهر مثقل
في نقلة ساق أو لمحة عين
ما يثقله من وطأة أعبائه
هل أغفيت قليلاً ... هل نام الطفل
أخشى أن يفسده التدليل الزائد ... ،
فالتدليل كحلوى السكر ، يفسد ما يتجاوز منه الحد
ليلاً ونهاراً ، منكمشٌ تحت جناحك
لِمَ لَمْ تدعيه بعض الوقت
لمربية أو حاضنة من خدامك
بس ! بس !

اضحك ... اضحك ... يا طفلي الأدرد
اضحك ... حتى يفتح في خديك الورد
اضحك ! بس ! بس ! اضحك
ما أحلى ضحكك العذبة
شبعان وسعيد ، هل بَلَل ثوبه

« يتحسس ليا ب الطفل الوهمي »

أوه ... لا تبك ... يتغصن وجهك إذ تبكي
يصبح وجهه عجوز مجهد
هل أتعبك اليوم كثيراً

الملكة

لا ، بل كان رقيقاً كالنفس المتهدج
يستغرق في النوم ، إلى أن تندى جبهته بالنور المتموج
ثم يفيق ليتوفر كالنورس فوق الموج
أو يغرز في صدري إصبعة الأهوج
كي يسألني حاجته من زاد الحب
أو يرشف ما يكفيه من ذوب القلب
حتى إن شبع استرخى في رقه
الرقعة فيه هي الطبع الغالب ...

الملك

أخذ الرقة عن رقتك الحلوه
في الوردة بعض من طبع الغصن

الملكة

لكني أخشى أحياناً من نظرة عينيه
ينظر أحياناً مثلك
نظرات ملأى بالشك المتعالي

الملك

هو أيضاً طفلي
أرجو حين يحين الوقت ، وينهض من حضنك

كي يمضي تحت جناحي
أن يأخذ من طبعي ما أعطيه
حتى يغدو مثلي

الملكة

لا ... مثلك لا يتكرر
إني أرجو أن يصبح نفسه
هل تعلم أنني أتخيله أحياناً يصعد تلّ العُمُر
شاباً في رائعة الظهر
شمساً صافية لا يحجبها غيم
تخرج للدنيا ، تهيم نوراً لا ينفد
يتجدد إذ يتبدد
وجهاً مبتسماً دوماً ...

الملك

لا يقدر أحد أن يبتسم دوماً

الملكة

لك حق

هو أحياناً يتقنع بقناع القلقِ الشفافِ
لكن لا يحمل موجدةً ، أو يكتُم لوماً
فهو مليء بالغفران كما تمتلئ النحلةُ بالشهد

ولهذا لا يعقد هذا القلقُ الشفافُ له وجهاً ، أو يطفى فرحه
«الطفل الوهمي»

إيه ... هل تدري أنا نتحدث عنك
... لا يعجبك حديثي
ولهذا تدفع في جنبي هذا الكعب المتورد
«الكل كعب الطفل الوهمي»

الملك

حقاً ... ما أجمل كعبه
يوماً ما سوف تدوس بهذا الكعب رقابَ رعاياك
يا طفلي الملكي
«يقبل كعب الطفل الوهمي»

الملكة

بل سيكون مليكاً محبوباً ورحيماً
الملك

تعين ... يكون ضعيفاً مهزوما
لعبة حاشيته
سخرية رعاياه وعبيده
اسماً يتدلق في الحاناتِ مع الخمر
يلقى في الطرقاتِ مع الفضلات
يشعل به جمرُ الأرجيلات

هدفاً يتلقى تعليقاتِ الدهماءِ الساخرةِ الوقحة
الكاشفةَ لسوء القصد

لا ... سيكونُ إلهاً في صورة بشريّ
سأعلمه أن ينظر مُتَّهِماً في عَيْنَيَّ من يَمَثُلُ قُدَّامه
ويطيل التحديق إلى أن تتخاذل أعضاء الخصم ،
فيهوي كي يلثم قدميه
يسأله صفحاً عن ذنب لم يفعله

الملكة

هل قلت ... الخصم
لا أدري لم يصبح للملك خصومٌ إن أحسنَ لرعاياه
الملك

كل الناس خصوم للجالس في القمة
حتم أن آخذه تحت جناحي إن صار إلى سنّ التعليم
لأعلّمه الحكم

الملكة

لا ... لا ...
لن تأخذه مني ...
ماذا يبقى لي كي أحيأ ؟
ولماذا أتنفس إن لم تلمع أنفاسي المبلولة

في جبهته المصقوله
كيف أعيشُ إذا لم يتحسني في الليل
وتفتَحُ كفاه زهرة أيامي المقفوله

الملك

لكن ... لن يتعلمَ من قربك شيئاً

الملكة

سأعلمه الحكمة

الملك

كمؤرخي الرسمي !

الملكة

والشعر

الملك

أننشئه كي يصبح صعلوكاً أم ملكاً ؟

الملكة

ملكاً إنساناً

لم تنبئني أبداً عن باكر أيامك

هل كنت تحبُّ أباك وأمك ؟

الملك

بالطبع !

لكني حين غدت صبياً مملوءاً بخيالات المجد
أنكرت على أمي وأبي أشياء كثيرة
أنكرت تواضع ما طلباه من الدنيا ،
فقرهما المتجمل بالكتمان ، المتقنع بالزهد
كانا نوعاً لا أهواه من الناس
النوع المتردد

كانا بشراً عاديين

الملكة

هل كنت تحبُّ الموسيقى ؟

الملك

ما زلت أحب الموسيقى

الملكة

أية موسيقى ؟

الملك

موسيقى الرقص .. وموسيقى الإستعراضات الحربية

الملكة

هل تسمع موسيقى الآن ؟

الملك

من أين مجيء ؟

..

الملكة

أنا أسمعها ... أتعرفها الآن

إسمع ...

هذي موسيقى الليل المسحوره

مرحى ! مرحى ! منذ زمان لم أسمعك

هجرني حتى خلتُ كأنَّ لقاءاتِ الزمن الماضي

كانت في أرض الأحلام المظموه

لكن ها هي ذي تتقاطر وافدةً من نخل الشباك

في مركبةٍ من أنوارِ البدر الفضية

انظر !

هذي أنغامُ الشجنِ الزرقاءُ

تتعلق في الأستارِ المسدلة هناك

هذي أنغامُ الفرح الوردية

تراقص حولَ المصباح الشاحب

انظر ... هذا نغم هاربُ

نغم طفل لم يكبرُ بعد

الحقُ بصحابتك يا نغمي الطفل .. الحقُ بصحابتكُ

حتى لا يدهمك الصمت ، فتفنى فيه

إحذر ... كاد الصمت يصيبك

أدخل في الحلقة وارقص يا نغمي الطفل

حمداً لله ... التأم الشمل
ما أحلى رقص الأنغام الزرقاء
ذائبةً في خصر الأنغام الوردية
ضججى ، وارتفعي ، وانطلقي نحو القمة
يا جوقةً موسيقى الليل المسحورة
أيها الأنغام المحبوره
اسمحنَ لصوتي المقرور الواهن
أن ينضم لجوكتكن .. ويرقص معكن
«عني غناء ميلودياً جميلاً ، وتطلق عيناها في شبه حلم»

الملك

خفزي من صوتك ... أرجوك
قد يتزعج الطفل

الملكة

الطفل .. !

إنك تلري أنا لا نملك طفلاً
انظر .. هذا فرشي خالٍ لا تتحرك فيه إلا أطراف الوهم ..
ساقا الوهم .. ذراعا الوهم
هذا طفل من كلمات
أمّصت بك اللعبة حتى هذا الحد

ما أغرب ما صنعتهُ السنوات بنا ، نمت الكلمات إلى أن صارت

أشباحاً وظلالاً

لكن ما أصعب أن تصبح هذي الكلمات الثلجية

مخلوقاً من لحمٍ دافئ

ليس لنا طفل !

ليس لنا طفل !

«بكي»

الملك

«مستلماً بركة»

حقاً ، يا نجمي الأوحـد ، يا كوكبي المتفرد

ليس لنا طفل ! لكن ماذا نصنع بالطفل

حرمنا إياه الأقدار ، فعشنا طيرينِ طليقينِ سعيدينِ

وخلقنا هذا الوهم لتزداد سعادتنا ... تتجدد

الملكة

طيران !

لكن ... ماذا أفعل بجناحي ؟

الملك

بل غصنان خضيرانِ رقيقانِ

الملكة

غصنان .. !

لكن ... ماذا أفعل بثماري ؟

الملك

يا كترى المكنون

كنا سعداء بهذا الطفل الوهمي

الملكة

طفل من يأس

الملك

كنت سعيداً به

الملكة

وأنا كنت سعيدة

حتى دهمتني موسيقى الليل ، فعرّثني من أوهامي

لا أقدر إلا أن أتعرى في حضرة موسيقى الليل

يا سيدتي موسيقى الليل

ردي لي طفلي !

ردي لي طفلي !

أو فاعطيني طفلاً آخر

«بكي»

دعني أتخذ عشيقاً

الملك

ماذا ؟

الملكة

اختر لي مَنْ ترضاه
اختر لي من يعطيني طفلاً
لن أنظر في صفحة وجهه
لن أتأمل في عينيه أو أتحسس جبهته أو شعره
سأكون كسولاً جافية كالأرض الوعره

الملك

لا ... لا ... هذا ظلمٌ وجنونٌ

الملكة

اختر لي من يعطيني طفلاً
أو دعني أتشرد في أنحاء الكون

«هوم من فراشها»

الملك

هذا ظلم ... ظلم
إنك كنتي وامرأتي .. ظلي ومقبلي .. مأوايَ وبيتي
تميمةٌ حظي الطيب ، برج السعد الذهبي
حين رأيتك الليلة من سنواتٍ عشرٍ
خارجةً من جوف النهر كنهر فضي
عاريةً إلا من ظلٍّ غصونٍ الصفصاف المحني

وسألتك : ما مهرك يا سيدة الأقمارِ الألف
وأجابت شفتاك بصوتٍ مرهفٍ
مهري أن تهواني .. أن تعطيني مملكةً لا يدركها الوصف
في تلك الليلة بالسيف استحوذت على مهرك
مملكةً تمتد على جنبي نهرك
وأخذتك مكرمةً في قصري
وحجبتك لا يمتد إلى أدنى ثوبك طرف
أعطيتك مملكة مهرا ...

الملكة

لكك لم تقدر أن تعطيني طفلاً
تعطيني الماضي ، لكن لا تعطيني المستقبل

الملك

حقاً ... لم أقدر

الملك القادر لا يقدر أن يهب امرأة طفلاً

الملكة

اختر لي من يملأ بطني الآن

الملك

يملاها الآن ، ويملاً بطن الأرض غداً

الملكة

ماذا تعني ؟

الملك

أقتله حين يُتمُّ مهمته الملعونه

الملكة

لا .. لن تقتل رجلاً أعطاني زهره
أطلقه يضرب في الأرض

الملك

هذا شأني وحدي ، قولي يا كتري الأوحده
هل يعينك الطفلُ كثيراً ... ؟
هل نصبحُ أسعدُ ؟
هل تدعينَ فراشَ الوحيدِ والسهدُ ؟

الملكة

سأخاصمُ هذا الفرشَ الراكده
بل إني سأسير وأرقص .. أرقص في سيرى
بل إني سأطيرُ
سأحبك آلافَ المرات
آلافَ الألوانِ من الحبِّ
سيفيضُ حناني حتى يملأَ أيامَكَ بالعطر وبالنور
هل تأمر لي بالطفل ؟

الملك

أتأملُ في الأمر ..

«الملك يجلس عليه سيماء الإنهاك البالغ ، ينظر أمامه ، ثم يقول محدقاً في الفراغ» ..

هل جئت الآن ؟

كم كنت أريدك !

الملكة

من .. الطفل

الملك

لا .. الموت

في موعدك تماماً ... يا طير الموت الأسود

ادخل في أعضائي مختطفَ الخطوة مسروقاً

ها أنذا أفتح لك صدري ، نقر حتى نجد طريقاً

يا سيدتي . استدعي وجوه الدولة

«الملكة تهب فائرة الخطى ، وتمد يدها إلى جرس فضي معلق في جانب السرير ، وتلقى به ثلاث دقات ، يصعد وجوه الدولة ، ويقفون صفاً ، وهم يدعون عيونهم طرداً للنوم» .

الملك

«وهو يقف مرهقاً»

يا سادتي وجوه الدولة

أدوا نحو مليكم الراحل

آخر ما هو أهل له

من شارات التكريم

فلقد هَبَطَ إليه من أفقرِ الأقدارِ المربَّدُ
طيرُ الموتِ الأسودُ

«وهو يتلوى»

آهٍ .. لا تنقرْ عيني
أرجوك .. لا تدفعْ في صدري هذا المنقارَ الشائكُ
ادخلْ عذباً ورقيقاً ، فأنا أتأهَّبُ لك
شكراً .. ها هو ذا في رأسي يضربُ فيها بجناحه
ها هو ذا في سرة بطني
ها هو ذا منحدرٌ في ساقِي
هل ينبغي أن يخرج من ساقِي .. لو يتركني هذي المره
فلقد طالَ عذابِي المهلك
«للوزير»

ناشده أن يخرج يا سيدُ

الوزير

«مقياً تحت قدمي الملك يحاول أن يشد الطائر» .

مولاي !

الملك

آهٍ .. عاد ليصعدَ في باطن جسمي
آهٍ .. ما أوجعَ خفق جناحيه ، ما أقسى نقرة منقاره

ما بالكم ، تقفون كأنكم أشباح ..
أنت بحكمتك الماثورة .. هذا الرجل بأشعاره
أنت بأدعيتك وتعاويدك
فليفعل أحد منكم شيئاً
هذا أمر ملكي
فليذب طير الموت الأسود

الجلاد

« مستلاً سيفه »

مولاي ... أين ؟

الملك

لا .. لا .. لا حاجة للسيف

قضي الأمر

لكني أتوسل لله وللشيطان

أن يتمدد في جسدي بهدوء

آه .. نام الطائر في قلبي

فدعوه ، لا يزعبه أحد منكم

حتى لا يخفق بجناحيه ، فيخض دمائي

شكراً للموت

إذ خلّصني من وطأة أعبائي

« يسقط ميتاً »

الملكة

«لقف في وسط الغرفة ، بجوار جثة الملك ، وتنظر إليها كأنها تريد أن تتأكد من موته ، ثم تستدير عنها ، وتقول كأنها تخاطب نفسها»

سأناؤُ الطفلُ ...

سأناؤُ الطفلُ ...

سأناؤُ الطفلُ ...

«ستار»

الفصل
الثاني



المنظر الأول

المنظر مسدل ، أمامه إلى يمين المسرح الكوخ والنهر ، تخرج النساء الثلاث من القصر .

المرأة الأولى

سيداتي سادتي

مختلف عادات الناس بمجاه الموت من بلد إلى بلد ، ولسنا نريد أن نصدع أدمغتنا بدرس في علم الأنثروبولوجيا الذي حل عند المتحذلقين في هذه الأيام محل السيكولوجيا أو علم النفس ، وهو العلم الذي يبحث في عادات الإنسان وشعائره ، ونقول لكم مثلاً إن الهنود يحرقون موتاهم ، وإن بعض الأفريقيين يأكلونهم ، واننا نرْفهم إلى الموت كأنهم عرسان في رحلة شهر العسل ، ولكننا نريد أن نقول لكم انه كانت لهذه المدينة التي نتحدث عنها عادة غريبة بعد لقاء الموت .

المرأة الثانية

كان من عادة أهل هذه المدينة أن يُلبسوا الميت أزهى أثوابه ، ويمددوه على فراشه الوثير - أو الفقير - أربعين يوماً كاملة يطوف فيها أصحابه وأحباؤه حوله ، ويناشدوه بأرخم العبارات وأكثرها

لطفاً ورقّة أن يستجمع قواه الخائرة ، ويطرد من جسده عصفور الموت الأسود .

المرأة الثالثة

وهم يعرضون عليه عندئذ كل ما يحب في حياته من طعام وشراب .. وثياب ورياش ، وهو ومتعة .. فهم أحياناً يعرضون عليه وجبته المفضلة أو خمرته أو أفيونه ، أو سرج حصانه أو ملابس امرأته ، لعل هناك أمنية ما زالت في نفسه ، يعينه الطمع في الاستحواذ عليها مرة ثانية على أن يستجمع قوّته ، ويطرد الطائر .

المرأة الأولى

وكان الفقراء بالطبع لا يقومون أبداً من نومهم ، بل لعلهم يزدادون استغراقاً في الموت كلما عرضت عليهم حياتهم الماضية ، أما الملوك ... فمن يدري .. فإن مباهج حياتهم كثيرة .

المرأة الثانية

وسنرفع الستار الآن عن الملك ممدداً في فراشه ، ولا نريد هنا أن نفزعكم بمنظر رجل ميت ، فنحن نعلم أنكم جميعاً تخافون الموتى أكثر مما تخافون الأحياء .. وهذا خطأ كبير منكم ... ولكننا لا نريد هنا أن نصحح طبائعكم ونعلّمكم التعقّل وحسن التفكير ، فليست هذه مهمتنا ، ولعل أوائها أيضاً قد فات ، إننا نريد فقط كما قال لنا مدير المسرح نقلاً عن المخرج عن المؤلف نقلاً عن أرسطو أن

نحاكي ما حدث ، وقديماً قال أرسطو ان غاية الفن هي المحاكاة .

المرأة الثالثة

وليست لفظة المحاكاة لفظة هيّنة ، فقد حيرت النقاد كثيراً ، فتساءل بعضهم هل الفن يطابق الحياة .. ولكن الحياة عشوائية بينما الفن منظم ملموم ، والحياة كثيراً ما يكون معناها غائماً بينما يحمل كل عمل فني معناه .. إذن فإن كلمة المحاكاة كلمة قاصرة ، أو هي ترجمة غير موفقة لكلمة اغريقية .. والكلمة الاغريقية لا أعرفها بالطبع ولا يعرفها أحد في بلادنا على الإطلاق لأن كل الذين يزعمون أنهم يعرفون الاغريقية في بلادنا لا يعرفون هذه اللغة الميتة ، والاغريقية بالمناسبة تختلف كل الاختلاف عن اللسان الرومي الذي يتحدث به أهل اليونان الآن ويعرفه بعضكم من معاشرتنا خادمي المقاهي وسماسرة البورصة وغيرهم .

«بدأ من حديث المرأة الثالثة يرتفع الستار ، ويعلو صوت الموسيقى بلحن جنائزي نشوبه نبرة صاخرة ، ولوى الملك ممدداً في فراشه في الطابق العلوي من المشهد ، وقد جلست العاشبة على درجات المدرج في تأمل وانتظار حزين ، تقف النساء صفاً كالدمى ، لم يتغير إيقاع الموسيقى بالتدريج من المارش الجنائزي إلى الرقص ، وتبدأ النساء رقصهن وغناءهن .»

النساء

نناشدُ النائِمَ النبيلُ

بعهدنا الغابر الجميلُ

أنْ يهجرَ النومَ ، وأنْ

يعودَ من برج الأفولُ

فنحن لذات الحياة ، نحن دفء الرقص والغناء والتقبيلُ

نحن الدم الساخن في عروقها ، ونحن ريقها البليلُ

نحن قواريرُ العطورِ إن كشفتها أثارت الميولُ

لمتع الحياة

الرقص والغناء والتقبيلُ

الوزير

وأسفا ... عيناه مغلقتان

لا يبصركن

لا أدري بمَ أنصحكن

المؤرخ

فليتحدثن إليه عن قرب ، قد يسمع

لِتُذكره كلُّ منهن بشيء من فتتها

مما كَشَفَتْ بين يديه في خلوتها

الوزير

فليصعدن إليه ، واحدة إثر الأخرى

الشاعر

أخشى أنا نتعلق بالوهم

لم أبصر طيلة عمري طيراً هجر الجسم

القاضي

شكّاك ملحدٌ

مات البستاني فعربدت الديدان

يا فتيات

اصنعن كما قال وزيرُ القصر

أنتِ... الأولى

فلعلّ جلالته ما زال يراوده شيء من أنسك

يتمناه الآن ويتشاه

عندئذ قد يفتح فيه كي يخرج منه الطير

المرأة الأولى

«تصعد على السلم ، وهي ترقص ، متبوعة بنظرات القاضي ، حتى تقف أمام الملك الميت»

هل تذكرني يا مولاي

كنت تسميني في خلوتنا بالريح المرحه

هل تذكر إذ كنت تلفُ ذوائبي الذهبية في كفيك

ثم تقوم على ظهري ، وكأني مُهرّة

وتدلي ساقيك

كنا عندئذ نترجرج بالضحكات المرحه

قم ستجدني أسرع من لمحة عينيك

الوزير

« يصعد لينظر نحو قم الملك ، ويعود »

لم تفلح رغم مهارتها ... هيا أنت
لا ... بل جارتك السمراء
فلقد مات الملك ، وفي نفسه
شيء من ناحيتك

المرأة الثالثة

« تصعد ، وهي ترقص متبوعة بأنظار القاهسي ويديه »

هل تذكرني يا مولاي ؟
كنت تسميني نهر النار المسجور
وتقول :

لا يطفى غلة هذي المرأة إلا جني مسحور
كنت أضمك حتى تتخلع أعضائك في عطفي
حتى تنحل كما ينحل الذهب المصهور
عندئذ كنا نضحك يا مولاي
قم ستجدني معجزة محرقة ...
تلقى فيها الملل الملكي

الوزير

« ناهراً لي قم الملك »

لَمْ تتحرك شفتاه

الشاعر

أنتم تدرون

لم يك مولانا يهوى المرأة إلا كهوايته للعطر
يُنشقه لكن لا يمسه في أحشاء الصدر
كان جلالته يجهد أن يشهد سكينه
لكن لا يقطع بالحد المفلول سوى بعض الوقت

الوزير

اصمت .. أنت

يوماً ما سهب الملك لتأديبك

المؤرخ

كان الملك ولوعاً بالجوهر والحلي الذهبي
فلنعرض بعضاً من مقتنياته
أو نسمعه وسوسة قلاداته

الوزير

«النادي»

قُم ... هات الصندوق

القاضي

انتن ... ارقصن .. ارقصن

اهززنَ السلم بالرقص المتفنن
فلقد كان يحب تتبع بقعِ النورِ المتلون
إذ تتألق في بشرتكِ ، كما يتألق جلدُ الثعبانِ
أنتِ اهتزي كالسمكة في الماء
أنتِ التي كالجسر إذا التف على النهر
حسن .. أنتِ .. انفرجي .. وكأنك تتلقين .
أضواء جلالته ... انضمي ... وكأنك تعتصرين
أمواجَ الفرحَةِ بالوصلِ الملكي
هل تبصر يا مولانا ؟

«حين تستبد بالقاضي النشوة ، يدخل المنادي»

المنادي

صندوق الجواهر .. هر .. هر ..

الوزير

«يأخذ الصندوق ، ويفتحه ، ثم يصعد إلى الملك ويأخذ في استعراض محتوياته أمام عينيه ،
ويحاول أن يجعله يلمس بعضها بيده الميتة ، ثم يأخذ في الخشخشة مع صوت الموسيقى والرقص» .

ذهب ... يا مولاي
لا شيء يرنُّ رنينَ الذهبِ الوضاء
ماسٌ كالنور المتجسدُ
لا يعدُّه في ومضته إلا ذاته
ولآل كالقطر المتجمد

ويواقيتُ كالشعل الحمراء
انظرُ ... يا مولاي

«تدخل الملكة في ثياب مهلهلة ، يبدو عليها الإعياء والذهول ، تتوقف الموسيقى ، ويقف الجميع متصفيين» .

الملكة

أغفى الطائر في ناعم قشه
بالله عليكم ... بالله عليكم
لا توقظن الطائر حتى يدفىء عشه
يا هذا الطيرُ الفضيُّ
إني أحجب عنك الريح ، فنقرُ ما شئتَ على الغصن
يا هذا الطير الفضي
إني أحضنك بعينيَّ ، لأبعث فيك الأمن
فليتمدد ريشك ، ولتغفُ سعيداً مقرر العين
ما تلمسه يتحول جمرأ ، ثم رماداً ، ثم يهب نسيم الليل الواهن
يلدوه في أنحاء الكون
الويل لمن يوقظ هذا الطيرَ النائم
سيكسر باب الزمن الموصود ، ويحطم أقفالَه
حتى تخرج من سرداب الماضي قطعُ الظلماتِ المختالَه
ويعود الأموات إلى الطرقاتِ ليختطفوا الكسرة من
أسنان الأحياء

ستحل سنين متتابعةً جذباءً
يصبح فيها القمح قشوراً لا بذرةً فيها
وسيتخثر لبن الأم بثديها المصوصين
«متجهة إلى الوزير»

هل تعطيني غصناً من أشجارك يا سيد
كي أصنع منه طفلاً ؟
الوزير

«بغف ، وهو يدلفها»
مولائي .. لِمَ غادرتِ القصر ؟
عودي للغرف الملكية
لم يك يرضي مولانا أن يبصرك العامة والدهماء
حتى نحن ... الكبراء
كنا نغضي أعيننا حين نراك ، ونخفي من صفحتها الملساء
ما قد يلمعُ فيها من تعبير أو إحساس
هرباً من غضبته النارية
عودي .. عودي .. يا مولائي

الملكة
سحقت أقدام الإعصار الرعناء
خضرة أشجارك

لتفضل طريقك في الصحراء الجرداء
وليتلون رأسك بتراب الأرض المغبرة
وليتمزق ثوبك حتى يحسبك المارة
شحاذاً يستجدي كسرة خبز سوداء
«ملحنة للمؤرخ»

هل تكتب سطرًا من تاريخك في جسمي يا سيد
حتى أصنع من أحرفه طفلاً ؟

المؤرخ

رباه !

هل يصبح آخر فصل في تاريخ الملك الميت
أن الملكة قد جنت ؟

الملكة

فلتشتت عقلك ، حتى تهرب منك الأفكار ، كما يهرب صيد
من صيادٍ لعنته آلهة الغابات
وليغم قلبك حتى تتدفأ بالماء وتروى بالنار
«للقاصي»

هل تلتف علي ثيابك يا سيد
وتُخلف لي أطرافاً من ثوبك
كي أصنع منها طفلاً ؟

القاضي

مولاتي ... عودي للغرف الملكية
لا تنتهكي حرمة مولانا في موته

الملكة

لتكن بوابة بيتك من قش ذابل
حتى يغدو بيتك منتهكاً كالطرقات المسحوقة بالأقدام
وليسفحك رمادُ الليل
حتى يصبح وجهك وجه غرابٍ أقتم

الشاعر

«مبادراً»

فلتعبرني عينك .. يا مولاتي
أنا مثلك لا يرضيني هذا المشهد
لكني لا أملك إلا أشعاري ... كلماتي
كلماتي - يا مولاتي - لا تصنع طفلاً

الملكة

إنك - فيما يبدو - ستكون صديقي
قل لي :
هل كنت تحب أباك وأمك ؟

الشاعر

أعطيتهما ذاكرتي

الملكة

هل كنت تحب الموسيقى إذ كنت صبياً ؟

الشاعر

كانت بيتاً من ظل .

ما بين صحاري الصمت

وجبال الضوضاء

الملكة

هل تسمع موسيقى الآن ؟

الشاعر

أعرف لهجتها بين اللهجات ، إذا ازدحمت في أذني الأصوات

أعرف مقدمتها إذ أستنشقها حائمة في الأجواء

بل إني أستدعيها ... حين أشاء

«بيني نلماً رقيقاً كأنه يحاكي به ما يسمعه وحده»

الملكة

حدثني عما تسمع

الشاعر

أسمع موسيقى تتحدث عن أشياء عادية

وفريدة

عن أشياء تحدثُ للناسِ جميعاً

لكن لا تحدث إلا مرة

«يسكت»

آه معذرة ... الموسيقى كفت عن نجواها إذ وجدتي غراً أبله

أبغني أن أحصر ما لا تحصره الكلمات

في كلماتٍ بلهاء

لكن ... ستسامحني بعد قليل

الملكة

أحسستُ بأنك ستكون صديقي

هل نجلسُ بعضَ الوقت ؟

الشاعر

أمرك يا مولاتي

«يجلسان في ركن ، بينما ينشغل الآخرون بمحاولة إيقاف الملك ، حتى يغلبهم النوم فينامون وقوفاً » .

الملكة

هل لك طفل ؟

الشاعر

أحمله في صرة أحلامي يا مولاتي

حين أريد .. أفك الخيط

الملكة

هب أنك تحمله بين ذراعيك

الشاعر

لن أحملَ طفلي بين ذراعي

بل أطلقه في شمس الغابات وأنسام النهر

حتى ينضجر بالمعجزة الخضراء كما تتفجر آلاف الأشجار

الملكة

هل ستعلمه الحكمة والشعر ؟

الشاعر

ستعلمه الحكمة أسراب الطير

ويعلمه النهر فنون الإيقاع

الملكة

هل جئتَ معي ؟

الشاعر

في أي سبيل يا مولاتي

الملكة

في أي سبيل لا يسقط فيها ظلُّ الموتِ على أثوابِ الأحياء

الشاعر

أنا لا أقدر يا مولاتي

أنا جزء من هذا المشهد

الملكة

بل تقدر

نفضُ عن أثوابك هذي الأتربة السوداء

الشاعر

لا أقدر يا مولاتي ، فلقد فات الوقت

إني أخشى أن أنزل في كون يمضي فيه النور طليقاً

لا يتكسر فوق الجدران الصماء

فلقد عشتُ زماناً بين مرايا القصر العمياء

لا أقدر أن أتففسَ خارج هذي الأركان الجهمه

أنفاس يكتمها ما في العالم من عطر ونقاء

بينما نخرج من جوفي الأنفاسُ التتنة في هذا القبر

ناشطة متلوية كالديدان النهمة

الملكة

ها ... ها نخرج كفاً في كف

وستألف أجواء النور المتألق

وسيتزف من تحت الحجر الجامد ينبوعٌ داكنٌ

يتدفق بالحقد وبالخوف

حتى تتشقق قشرته السوداء الصلبة

فيفيض النبعُ صفاءً ومجبه
ماذا لك في هذا السجن ؟

الشاعر

مالي في جيبي

مزمارُ

وكتاب فيه بضعةُ أشعارُ

الملكة

فلتمضِ معي

الشاعر

مولاتي ... هل تدرين ...

شيء في نفسي ينهار

وكأني تتخاطف روعي آلافُ من صورِ الأحلامِ المرة والأحلامِ

الحلوة

تتابعُ في عينيَّ المرهقتين دوائرُ من دخان

لا أدري ... انفتحتُ في غرفةٍ نفسي في وقت واحدُ

أبوابُ الماضي والحاضر والمستقبل

كل منها يبعث في نفسي شيئاً كالإعصار

تنهار على رأسي عشرُ سنين من عمري الآن ،

كما تنهار الموسيقى الضحلة في الآذان .. ،

كما تنهار ثيابُ المومس في قدميها العاريتين
اذكر ذلي حين شراني الملك بكأسٍ مره
كي يمسخني ، ويقزمني ويغضني ويكورني
حتى يجعلني حبة خشخاشٍ منعشةً تحت لسانه
من ذاك اليوم
وأنا وجل خاو من داخله لا يقدر أن يصلبَ ظهره

الملكة

ماذا تذكر أيضاً ؟
فرجٌ عن نفسك

الشاعر

أذكر ذلي حين رأيتك أولَ مره
كنتُ كسيراً أختلسُ النظره

الملكة

حين أتى بي الملك إلى قصره

الشاعر

لا بل عند النهر

الملكة

قبل وقوعي في الأسر

الشاعر

أبصرتك واقفةً تلقينَ إلى الشمس حبالَ الشعر
وكأنك ملاح يستدني مركبة الشمس إلى شاطئها الأخضر
قلتُ لنفسي : هذا حُسن لا يتملكه شاعر
ما أجدره بمليكٍ قادر
أحببتك ، واستكثرتُ على نفسي حبَّك

الملكة

وتعميت لي الأسر

الشاعر

لكني كنت أعيش لهذا الحب
أحياناً ، كنت أراكِ ، وأنت تمرين كطيف في عيني وسمان
بين الغرفِ الخافتةِ الأضواءِ
فأمد أصابعي المحسورة من بعد كي تلمس ما حولك من أجواءِ
لكنك تنفلتين وراء الأستار الدكناءِ
كنت سراباً يلمعُ في عيني ضالٍ في الصحراءِ
ظماً للروح ، وريٍّ موهوم للعينين
وتجمد حي ، لم يتوقف أو يتزفُ
ظلَّ حبيساً في قلبي المنكسر الخائفُ
كدماء الموتى في الأوعية الزرقاءِ

الملكة

هل تبغي أن تبصرني ثانيةً عند النهر ؟

الشاعر

أيعودُ الزمنُ الميتُ يا مولاتي ؟

الملكة

بل يسقط عن أهداب العينُ

فلنمضِ الآن

الشاعر

أودع أصحابي

الملكة

وَدَّعُهُمْ

الشاعر

أستودعكم يا أصحابي ..

هَبُوا ... هل أنتم موتى .. هل متم مثله ؟

معذرةً .. أنتم تدرون

كانت هي جي المجنون

أشكركم إذ صنتم سري المكنون

المتعقِلُ رغم إرادته إذ يعطيه الخوفُ تبصره إن أعطاه الوجدُ جناحه

كنت أناجيتها في نومي المتوفر

وأحن إليها حتى تنخلع الأعضاء
ما بين شهيق الرغبة وزفير العجز
أتمنى أن أمسح قدميها بالشعر كما تمسح بالزيت العطري
أقدام القديسين
فوداعاً يا أصحابي
فلقد عشنا بعض الزمن الميت جيراناً
يرعانا نفس اللحد المجنون ، ونلبس نفس الأتربة المتجمدة ،
ونقتسم فطير الصدقات الملعون
والآن ... ها أنذا أمضي
هي تدعوني أن أتبعها
طفلاً لا أملك أن أعطيها
فأنا خاوي مذ بعث الحرية بالخبز
لكني أملك أن أجعلها تنهض في بشر
وتعود إلى النهر ، لتلقي للشمس حبال الشعر
وأنا أنظرها عن قرب كالمفتون
الوزير
قف يا مجنون
سلبته عقله
المؤرخ
وأسفا للمسكين

القاضي
ردوه بالقوة

المؤرخ
يوم يعود الملك إلينا سيعاقبه كعقاب سليمان الهدهد

الشاعر
هل سيعودُ الملك اليكم ؟

الوزير
طبعاً سيعود

الشاعر
لا ، فالملك تدلى ميتاً إذ أبصر ذاته
في مرآة صافية ذات مساء
هي عينا هذي المرأة
هل تدرون ... ؟

ماذا كان اسم الملك الراحل ؟
الموت !

هل تدرون ماذا كانت ألقابه
الموت الماشي .. الموت الغافي .. الموت المتحرك .. الموت الأعظم ..
الموت الأفخم .. الموت الأكبر
كانت لمسته أو خطرتُه أو نظرتُه معناها الموت

لمسَ النهرَ فماتَ النهرُ
لمسَ القصرَ فماتَ القصرُ
لمسكم .. أنتم .. ميتٌ ... أنا أيضاً متٌ
سيديَ القاضي .. إنك ميت ..
وكذلك أنت ... وأنت ... وأنت
ولعلك أكثرنا إيغالاً في الموت
إذ أنك أكثرنا قرباً منه
لم يقلتُ من لمسته إلا هذي المرأة
لمستني فنهضتُ
لأترككم للموت
أترككم للموت

« يسدل الستار »

المنظر الثاني

« أمام الستارة المسدلة ، الكوخ والنهر ، والشاعر والملكة يجلسان ، الملكة تضحك سعيدة » .

الملكة

آه... أسكت أرجوك

حتى أستجمع أنفاسي

كاد الضحك يفتتني

أنظر ، إني أهتر كأن شعاع الشمس يدغدغني

وكان الريح المجنونة تتغلغل تحت ثيابي

وتلامس عابثة عطفي

ما أغرب أسلوبك في الحكى

الشاعر

عفواً... أقسم أني لا أحكي إلا ما كان

لا أنطق شيئاً من ذهني ، لكني قد أنثر فوق المشهد بعض الألوان

بل إني أحياناً أبصر ما يخفيه الأشياء الرواغة ،

في باطنها من إحساس....

يجعلها تبدو في لون آخر

في رأيي مثلاً أن الأفقَ الأزرقُ

ليسَ بأزرق دوماً

في رأيي أيضاً أن ترابَ النهرِ الأسمرِ

ليسَ بأسمر في كل الأحيان

الملكة

ما لونهما يا شاعر

الشاعر

ذلك يعتمد على حالِهما النفسيه

الملكة

حالهما النفسيه !؟

الشاعر

حين يكونُ الأفقُ سعيداً

يصبح وردياً

مثلك أنتِ الآنْ

الملكة

خاطرُ شاعرٍ

منذ متى تكتب شعراً ؟

الشاعر

لا أدري يا مولائي

الملكة

لستَ عجوزاً حتى هذا الحد

الشاعر

حقاً .. لا أدري يا مولاتي

لا أدري منذ متى كانت لي هذي المشيه

منذ متى أصبح لي هذا الصوت

منذ متى كان بوجهي هذا الأنف

منذ متى أكتب شعراً

الملكة

«مامكة»

هل ذقتَ الحب كثيراً في صغرك ؟

الشاعر

لا .. يا مولاتي

بل ذقتَ العشق

الملكة

العشق !

الشاعر

يوماً ما كنت عشيقاً للوردة

كنت أحب تضرّمها للنور ، تبرجها للعين ، ووقفتها الممشوقة

فوق الغصنُ

كنتُ أحبُّ سماحتَهَا إذ تَلَمَّسُهَا أطرافُ الكف
تَرخُّصَهَا إذ تكشف باطنَهَا ، تستلقي في غمرة لذتها حتى تتمزقَ عشقا
بل كنت أحب نسيمَ العفنِ الواهن
المتناثرِ من جثتها المسحوقة

الملكة

مَنْ معشوقُكَ الآن ؟

الشاعر

بل معشوقاتي ... الكلمات
نلعبُ لعبتنا السريةَ في ضوء القمر الدابل
أو في نور المصباحِ الآفلِ

الملكة

ماذا بعد اللعب السريِّ ؟

الشاعر

لا شيء سوى أني أمتلكها

الملكة

لا ينتج شيء من لا شيء
أولم تسأل نفسك أحيانا
ما الغايةُ من كلماتك ؟

الشاعر

لا شيء

الملكة

لا بد لكلماتك من غاية
من شيء تفعله كبقية ما خلق الإنسان
أو ما خلق الله وأعطاه للإنسان
الزهرة والريح
الحرية والسهم
القمة والسفح
آلات الموسيقى والموسيقى والأرقام وعنقود الكرم
وعقول الحكماء وسيقان الأشجار وأصداف البحر ...
حتى الأحلام

الشاعر

هذا حق ... لكن ماذا تصنع كلماتي
هي أهون من أن تطمح للفعل
أهون من أن تغدو سيفاً أو ترسا
كي تقتل أو تحمي من يقتل

الملكة

لا تبخس كلماتك ما تستأهله من قدر

فالكلمة قد تفعلُ

لا تدري ماذا فعّلتُ في مطلع عمري كلمات تشبه كلماتك
سمعت أذناي صبيّاً حساساً ملتصعَ العينين
ينفخ في مزار ويغني أني أجمل ما رأت العين
فغدوتُ جميله

بعد سنين سمعت أذناي
من يتحدث أني عارية أتألق كالنهر الفضي
فخلعتُ ثيابي عند النهر
كي أتأمل حسني المتفجر
حتى سمعتُ أذناي
من يحكي أني أتدفق بالخير
إذ يمسحُ مرآي
عن عيني مَنْ يتأملُ غصني الزهر
ما يثقله مِنْ أوصابِ العمر
هل تسعد بوجودي جنبك ؟

الشاعر

مولائي ...

تردد في ذهني الآن

بضعة أبيات من شعري

ما أفقره من لا يجد من الكلمات لكي يتحدث عن فرحته ..

حين يضم بعينه من بهواه
إلا أن يهتف إني فرحان
ما أفقره مَنْ لا يجدُ مِنَ الكلمات لكي يتحدث عن حبه
حين تكون حبيبته جنبه
إلا أن يهتف يا حيي

الملكة

هل ألفت عينك أجواء النور المتألق
أتعود عشيقاً للوردة ، لا ميتة ، بل زاهية فوق الغصن

الشاعر

مولاتي !

الملكة

هل تغلق بابَ الماضي ؟

الشاعر

عفواً يا مولاتي

هذا رجل يسقط من نافذة الماضي

الملكة

من هذا ... ؟

الشاعر

هذا الخياط

« يظهر الخياط متردداً ، ثم يقف أمام الملكة والشاعر ويشير إليهما ضاحكاً محيياً ،

الملكة

ماذا تبغي ؟

الخياط

« يشير إليهما أنه يريد أن ينضم إليهما » .

الملكة

لِمَ لا يتكلم ؟

الشاعر

قطعَ الملكُ لسانه

في آخر يومٍ من أيام حياته

هو لا يتكلم ... لكن يسمع

أقدم ... ماذا تبغي

« الخياط يكرر الإشارة السالفة » .

الشاعر

أذهبنا إنك خرقت من ثوب الماضي

الخياط

« يحاول أن يدافع عن نفسه ، ثم ما يلبث أن يبكي بدون صوت »

الشاعر

لا أعرف ماذا يعني ؟

إصنع ما شئت

الخياط

«يسم ويغمم ، لم يجلس مستحيًا بجانب الشاعر والملكة ، وكأنه تابع لهما .

الشاعر

هو ينبغي أن يصحبنا

يهرب من ماضيه كما نهرب من ماضينا

لكن ... هو أسعدنا حظا

لم يفقد إلا حنجرته

لكن ما أتعسه ... من بعثت الأيام المنحدرة

سلة جسمه

من أصبح لا يسمع فوق وسادته دقة قلبه

بل دقة قلب الخوف

من فقد براءة كلماته

بينما عجزت يده عن حمل السيف

«ظلام»

المنظر الثالث

«يرتفع الستار عن القصر لتري رجال الملك وهم يهبون من نومهم ، الملك ما زال على سريرته .

القاضي

خيراً ... اللهم اجعله خيراً

الوزير

ماذا ؟

القاضي

لا شيء

الوزير

قل ... لا تردد

القاضي

سمعتُ أذلي شيئاً في الليل المعتم

وأظن الهاجسَ حلماً يتعثّر في الأرض المسحورة

ما بين اليقظة والنوم

أو صوتاً يتسلل من باطن نفسي

كي يهمس في رأسي

المؤرخ

ماذا سمعتُ أذنك في الليل ؟

القاضي

بضعةً أصداء

الوزير

لم أكن أقوى أن أتكلم

لكني كنت أميز صوته

حقاً ... كانت روحي تتدلى في بئر النوم

لكني لا أخطئ أبداً في رنته أو نبراته

المؤرخ

ماذا كان يقول ؟

الوزير

أولم تسمع شيئاً أنت الآخر ؟

المؤرخ

بضعةً كلمات

لكني لا أدري هل سمعتها أذني في اليقظة

أو سمعتها روحي في الحلم ؟

الوزير

ما هذي الكلمات ؟

إنك ذاكرةُ الدولة ، إذ أنتَ مؤرخها الرسمي

المؤرخ

كانتَ كلماتٍ قيلتَ بتأنٍ مكتوم
وكانَ القائلَ ينزعها حرفاً حرفاً من أسنانه

القاضي

ماذا كانتَ ؟

المؤرخ

كان يقول

أبغى الملكة جنبي

الوزير

هذا ما سمعته أذني

القاضي

تلك هي الكلمات

هو يبغى الملكة كي ترقد جنبه

الوزير

حتمٌ عندئذ أن تأتي بالملكة

المؤرخ

نُرقدها جنبَ الملكِ الميت

القاضي

ميتة أم حية ؟

المؤرخ

ميتة أم حية ؟

الوزير

لا أدري ، فلنسأله ... قد يتكلم

فلنصعد لسؤاله

«يصعد الثلاثة متوجهين إلى الملك ، ويقدم الوزير ، بينما يتمهل الجلال وسط السلم» .

الوزير

صُبِّحتَ بخير يا مولانا الأعظم

ماذا تبغي ؟

الصوت

«كأنه ينبعث من مكبر صوت»

أبغي الملكة جنني ...

الوزير

إسمح لي يا مولانا أن أسأل

ميتة أم حية ؟

الصوت

أبني الملكة جنبي

الوزير

هل تسعد نفسك إن أغفت جنبك

الصوت

أبني الملكة جنبي

الوزير

هل يخرج بعدئذ من جسم جلالتك
طير الموت الأسود ؟

الصوت

أبني الملكة جنبي

الوزير

«مخاطباً زملاء»

من يذهب لاستحضار الملكة ؟

القاضي

معها هذ المأفون الشاعر

المؤرخ

هو أهون من أن تأبه له

لن يبصر سيفاً حتى يعدو ، لا يسبقه إلا ظله
من يذهب ؟

القاضي
من غير الجلاد ؟

الوزير
يا جلاد
هل سمعت أذنك صوت الملك الميت
بيدي رغبته الملكية في قرب الملكة ؟

الجلاد
لم أسمع شيئاً

الوزير
نحن سمعنا
إذهب .. عد بالملكة

الجلاد
أين أجدها الآن ؟

المؤرخ
هي لا بدّ تولت ذاهبةً للكوخ المهجور
حيث أقامت حيناً في حضن النهر

القاضي

ذهبت كي تحيا في ماضيها الغابر

الجلاد

أتريدونَ الملكةَ ميتةً أم حية ؟

الوزير

حية ...

الجلاد

فدعوا لي الشاعرُ

الوزير

إنك تدري ما تفعل به

الجلاد

هل يصحبي أحدٌ منكم ؟

الوزير

قد نلحقُ بكَ بعدَ قليل

الجلاد

ها أنذا ذاهبٌ

رغمًا عن عقلي ، فأنا لم أسمع شيئاً ... لم يدخل شيءٌ أذني

لا يغريني أن آتي بالملكة

لا أدري هل ينفعُ هذا في بعثِ الملكِ النائمِ أم لا ينفعُ
لكنْ قد يغريني أنْ أتسلى بالبعثِ بأضلاعِ الشاعرِ
فأنا منذُ زمانٍ أكره هذا المأفونَ الماكُرَ
في هيئتهِ شيءٌ ... لا يعجبني

«ستار»

المنظر الرابع

« الملكة والخياط يجلسان مبهتهجين ، والشاعر على مقربة منهما يمشي في بظء ، ويتلکأ في بعض الأحيان » .

الملكة

يهوي من عينيك الخائفتين الصمت
أكثر ثرثرة من كلماتك
فيك طباعُ الخادم
إذ يتمردُ على خدمة سيده يسعى كي يخدم خصمه
إنك تسمع ... لكن لا تتكلم
فأنا إذ أتحدث لك
فكأنني أتحدث للجزء الخائف من نفسي
قل لي : هل يعطيني الطفل ؟
هل أدرك أن الحب هو الشوق إلى صنع المستقبل ؟
لا الرغبة في نسيان الماضي

الخياط

« يومئ برأيه موافقاً »

الملكة

هل عادَ إلى نفسه ؟

هل سقطتْ من عينيه أشباحُ سنينِ الموتِ ؟

الخياط

«يومئذ برأسه موثقاً،

الملكة

فلا تجملُ له

ولأنثر شعري المحلولَ على صفحة وجهي

ولأذمي شفتيَّ بأسناني حتى تنعقدَ على كرزهما الرغبة

الشاعر

«وحده ، كأنما يتعبد للشمس»

يا سيدةَ المرجِ الغيميِّ الأزرقِ

لو أنكسر كشعاعك حين يمسُّ الأرضُ

لو أهوي ميتاً ، لو أتمزقُ

لا تتحمل نفسي وطأةَ هذي اللحظة

توشكُ نفسي أن تتفرق كالأشتاتِ

أغني لحظات حياتي ، أحفلها بالرغبة ... والعجز

بالفرحة ... والخوفُ

بالذكرى ... والنسيانُ

بالشوق ... وبالإشفاق
أعجز أن أحيا في الحب
حين تفاجئني عيناها الراغبان الطيبان
أتراني أصبحتُ رماداً ، أم ما زال هناك بصيصٌ من نيران
فلا أكتبُ حي في كلمات
آه ... لا أقدر أن أكتبَ شيئاً ، تتزاحم في سمعي الأصواتُ
خالعةٌ ثوب الكلمات كما يخلع ظلُّ أعضاءه
والصورُ المنهالة لا تتمهل حتى تتلمسها عيني المندهشة
لا أدري كيف يكون الإنسان فقيراً في التعبير إلى حد الإملاق
حين يكونُ غنياً بالإحساس إلى حد الرعشة
فلا تحدثُ في مزماري

« يرف ، بينما يتقدم الجلال من أقصى المسرح »

الجلاد

أنت هنا يا هذا المأفون ، تَنقُ نقيقَ الصرصور الأجرى
خذ ... هذا حبل .. أوثق نفسك حتى لا تهرب
واصبر حتى أفرغ من بعضِ شؤولي
عندئذ أذبحك بهذا السيف المهلك
إن لم تتبدّد خوفاً قبل رجوعي لك

« اللعياط »

أنت هنا ... أيضاً
اهربْ وامضِ بجلدك
أنا لا أحمل لك حقداً ، لكن شكلك لا ينسجم لعيني
في هذا الموكب
مولاتي !
الملك يريدك

الملكة
الميت لا يبغي إلا الأكفان
لكن تبغيه الديدان
كي تصنع مأدبة من جسده

الجلاد
مولاتي
همس الملك لحاشيته ،
في ظلمات الليل ، وهم كالأعمدة المنصوبة حول فراشه
أن مشيئته هي أن ترقد مولاتي جنبه

الملكة
جنب الموت !

الخياط

« يقدم مستعظماً الجلاد ، وكأنه يذكره بهدالة قديمة »

الجلاد

«يركل الخياط»

اذهب ، ما شأنك في هذا يا هزاه
احذر ... سيني لم يرو دماً من أزمان
يشكو لي في كل مساءٍ ظمأه
وأنا لا أصبر عن شكواه ، إذ هو خلّي وصديقي وأخي التوأم
حقاً .. هو لا يشرب إلا أفخر أنواع الدم
لكن لا بأس بأن أنهله قطراتٍ من دمك المائع
«يستل سبله ، فيهرب الخياط باكياً بدون صوت»

صبراً يا مولائي
صبراً حتى أفرغ من هذا الضائع
«يستدير للشاعر»

هل أحكمت وثاقلك ؟
متعالٍ دوماً حتى في موتك
صبراً يا مولائي
سأداعبه بالسيف قليلاً
وسأبدأ بمقدم وجهه
إذ لا تعجبني نظرة عينيه

« يقترب منه ، فيمد الشاعر مزمارة ، ويعلن به الجلاد في عينه ، الجلاد يصرخ ويتراجع ،
ولمى عيناه . يغطيها بإحدى يديه ، ويضرب بسبله على غير هدى . »

الجلاد

آه ... غاقلني الكلبُ الشاردُ ... سأمزقك بأسناني
لن يطفئ غلي أن أحطم رأسك أو أضلاعك
لا تتقهقر عن حد السيف
أسمعي صوتك حتى يُخرج سيني أمعاءك
أو يدهس أعضاءك

الملكة

«مقربة من الشاعر رافعة يده في يدها»

أنت صرعتَ الجلادُ
وصرعتَ الخوفُ
عزفَ الزمارُ نشيدَ الدم
بيناً أصبحَ سيفُ الجلاد الغاشم
أعمى لا يجد طريقه ... أقدم
خذ منه السيف

الجلاد

«يسمع صوت الملكة وألفاس الشاعر ، فينجه إليهما بسيفه ، ويجرح الشاعر في ذراعه» .

الملكة

«مقربة في الأرض تحت قلمي الشاعر»

قطراتٌ من دمك على وجهي ... مَرَّحِي بالجرح المتبسم
لا تفقدِ إقدامك ... جالدٌ ... أقدم

سال دم .. بدم ... دَعْ دمك الزاكي يعطي للحظة معناها الباهر
في ظلمات اللامعنى السوداء

دعه يتقطر فوق الأرض ... التاريخ ... الشاهد
أنظر

تتجاوز دائرتان من الدم فوق التراب الجامد
نُزْفٌ مسمومٌ من دم جلادٍ مجنونٍ بالدم
ونثار نورانيٍّ من دم شاعرٍ

ما أغربَ ما التقيا ، هذا يكتبُ في سفر التاريخ الخالد
صفحة السوداء ، وهذا يكتبُ صفحته البيضاء

يداور الشاعر الجلاد حتى ينزع منه السيف ، ثم يثبت به يده ويندفع إليه الجلاد ، لموت بسيفه ،
ويتهوى الشاعر جريحاً بين يدي الملكة ،

الملكة

دعني ألمسُ جرحَكَ ... ما أجمل هذا الجرح الوضاء
الفجر الغسقي ، عيونُ النرجس ، عبَّادُ الشمس ، دماءُ العذراء
الحكمة والمعنى ، الكأسُ الضائعةُ الفضيَّة

دعني أغمسُ فيها شفتي لكي ترتدَّ إلى الروح ، ولا تفنى أو تنفذ
هذا الدم ... ما أزكاه ... عطر الجسد الوحشي المسجون
دعني أتشممه ... دعني أملأ رثي بهذا النفح المكنون

هذا الدم ... ما أقم حمرة .. فلا تزين به
ما أجمله كمخضاب في مفرق شعري المرسل

ما أبهاه وشمًا فوق جيبي المثل
ما أجمله حمرة
في مبيم شفتي الذابلتين
يكفيني ... قد شبعَ روعي ...
قد شبعَ عينا
من أجلي قد سال دمك
ما أغربَ قسوة قلبي
فلتحفظ لي هذا الدم ... كي يرعى أيامي ... لينور فرحي
سأطبب لك جرحك ... بل جرحي
يا للهب الطالع من شفّتك
رغم الوجه المبتل المنهك
«تقبله»

الشاعر

مولائي !

الملكة

بل قل .. حي

الشاعر

حي ...

أشعر أني يجري في أوردتي الثلج المتفتت

حتى يتقطر من أطرافه في بطة
أو يستل سخونة جسمي الخائر

الملكة

حي ينقذ ككرمة
فأعصره يتصبب لك منه الخمر

«بغاربان»

هل أنت بخير ؟

الشاعر

أوشك أن أغدو أحسن حالاً
من لحظات كنت أريد الموت
لكني الآن ...

أتمنى أن أحي من أجلك

الملكة

معجزة النهر

ما أجمل أن تأتيني روح الكون هنا ، تنفخ في السر
أمتلئ بروح الكون كما تمتلئ الثمرة بالشهد
حتى إن حان الموعد

جئت إلى جذع الشجرة
وهزئت إلي الأغصان المخضرة

عندئذ

لن أحتكم وإياهم للدم
سأشير إليه ليتكلم

الشاعر

حي ... ما أصدق حلمك بالطفل
وكأنك كنت ترين المستقبل
هل دار بخلدك يوماً ما ؟
أن يعطيك الطفل الشاعر ؟

الملكة

يعطيني طفلي من يعرف كيف يقاتل بالمزمار
ويغني بالسيف

الشاعر

أوحشني مزماري
أبغني أن أتنفس فيه حي لك
شوقي أن أغفو في خضرة أغصانك
في فتحة قطرات من دم
فلأمسحها عنه
آه ... هذا المزمار الفارس

الملكة

دعني أمسحه في صدري

حتى يرجع لطبيعته السمحة

هذا الزمارُ العاشقُ

« يعني للملكة ، بينما تميل الملكة عليه ، يسمع الغياط الذي كان مختبئاً في مكان ما لعن الزمار
فيعود متردداً عجبلاً ، فإذا رأى الملكة والشاعر متعاقبين ، جلس قريباً منهما بحيث لا يريانه ،
وبينما هو يجلس ، تأخذ الملكة بيد الشاعر ، ويمضي مستنداً عليها إلى داخل الكوخ »

« يضاء النور »

الفصل
الثالث



المرأة الأولى

سيداتي .. سادتي

قال لنا مدير المسرح نقلاً عن المخرج نقلاً عن المؤلف ، إنه احتار حيرة شديدة ، حين وصل إلى هذا الموضوع من مسرحيته ، فإن علماء التأليف المسرحي ، يقولون إنه لا بد بعد الذروة أو «الكليماكس» من نهاية سارة أو حزينة أو « أنتي كليماكس » .

المرأة الثانية

وكانت أمام المؤلف ثلاثة حلول لهذه الذروة التي تتمثل في أن الحاشية منتظرة لعودة الجلاد ، بعد أن أنبأتنا بأنها قد تلحق به . وأن الملكة قد تحقق وعد الأقدار لها بأن تحمل بذرة المستقبل ، وأن الشاعر أصبح حبيباً وفارساً ، وأخيراً أن الملك الميت يطلب أو يقال إنه يطلب أن تغفو الملكة بجانبه حتى يستطيع أن يتغلب على موته ، ويطرد طير الموت من قلبه وفمه .

المرأة الثالثة

والحلول الثلاثة التي توقف عندها المؤلف هي الحلول الثلاثة المختلفة لكل مشكلة ... حل الشكوى إلى الأقدار ، وحل الانتظار ، وحل التصدي للموقف بكل شدته وتعبده .

المرأة الأولى

ولما كان المؤلف حائراً في أي الحلول تفضلون ، فقد آثر أن يعرض عليكم الحلول الثلاثة ، ولكنه تعهد لنا أن لا نعرض غداً إلا الحل الذي يرضيكم ، أو يرضي مزاج الأغلبية منكم ، فنحن كما قال المؤلف لا نريد أن نعلمكم ، ولكننا نريد أن نتعلم منكم .

المرأة الثانية

ونبدأ الآن بتقديم الحل الأول .. حل الشكوى إلى الأقدار ومناشدتها أن تحل المشكلة ، وقبل أن نعرض هذا الحل نمهد له بحكاية بعض الأحداث .

المرأة الثالثة

لقد استبطأت الحاشية الجلاد ، فأتت في عديد من أعوانها إلى مكنن الشاعر والملكة ، واستطاعوا أن يأخلوا الملكة معهم ، حيث مددوها حيةً بجانب الملك الميت الذي كانت تتصاعد من جسمه رائحة العفن ، وظلوا ينتظرون أن يهب الملك من نومه ، ولكن

انتظارهم ذهب عبثاً ، فاستقر رأيهم في النهاية أن يرسلوا الملك
والملكة إلى العالم السفلي .

المرأة الأولى

أما الشاعر فلقد جن جنونه ، ومضى ليناشد قضاة محكمة الأقدار
في العالم السفلي أن يعيدوا إليه حبيبته ، فانطلق في طريقه الطويل
المخوف ليمثل أمام القضاة .
هذا هو الشاعر .. فلنفسح له الطريق ..

الشاعر

سيدتي .. كنتي .. ذخري
جنتي العطرة ، خيمتي الفضية ، ليلي الرطب ، سمائي المجلوة
كيف أذوق صفاء الراحة ، أو أجد سلام القلب
ما دمت هناك بعيداً عن عيني
ها أنذا أبسطُ كفي ،
للتشابه في كفك ، أو تلمس أطراف أناملك الحلوة
ها أنذا أشرعُ عيني ، لتأوي في مرفأ عينيك
يبكي في سمعي نهر غينا في واديه معاً
كوخ عشنا بين جناحيه معاً
من يرشدني ؟
أين طريقُ قضاة الأقدار

في محكمة الكون السفلي
حيث تنام الشمس إذا أنهت رحلتها في الأفق الفضي

صوت المرأة الأولى

سير حتى تلقى جبل الشمس الممتد الجنبات
بين ذراعيه يُقعي كهف الظلمات
حيث تنام الشمس إذا أنهت رحلتها اليومية
في بوابته تقف امرأتان

تنتظران

اسأل وتقدم

لكن .. بمشي أحد في هذا الوادي الساكن ،
يحمل سيفاً أو رمحاً أو سهماً

فالتق بسيفك

هذا وادي الأمن

« الشاعر بلقي سبغة »

فلتمض الآن

الشاعر

ها أنذا يتخلع قلبي من تحت بنائي المتهاالك
تصفر أنفاسي في صدري المرهق كالقوقعة المفتوحة
أتوسل لك يا حب بقلب كلينا

أنا وامرأةٍ مجروحه
أن ترعانا ...

هذي ... البوابه

المرأة الثانية

ماذا تبغي في هذي الأرض السحريه ؟
يا هذا الشَّبَحُ المتهدم

المرأة الثالثة

لا بأس بصفحةٍ وجهه
رغم الإرهاقِ البادي في عينيه

المرأة الثانية

يغدو أحلى حين أمددُهُ في فرشي الظامئ
بعد طعامٍ دافئ
وشرابٍ مُسَكَّر

يتمدد دمه عندئذ مرتاحاً في أوردته
مِلْ يَمَنَّهُ

هذا كوخِي مُلْتَفٌ بالشجر الأخضر

« تعابه ... »

المرأة الثالثة

بل مِلْ يَسْرَهُ

هذا كوخني في حائطه يتسلق بعض الزهر
أنت أمير الكوخ الليلة
فأقم حتى تسمعَ ديكَ الفجرِ

الشاعر

يا هاتانِ السيدتانِ الطيبتانِ
أهبكما في ذاكرتي أكرمَ ركنٍ
لو أرشدني فضلكما لطريق قضاة الأقدارِ

المرأة الثانية

قَلْبُكَ فَاتِرٌ !
إذ لا تستمع لأشواق امرأتين تحبانك

الشاعر

هل يرشدني فضلكما لطريق قضاة الأقدار ؟

المرأة الثالثة

ماذا تبغي عند قضاة الأقدار ؟

الشاعر

مَنْ يَهْوَاهَا قَلْبِي
أبغني أن أطلبَ عندهم العدلَ
ليعيدوا لي امرأتِي

المرأة الثانية

هل سلبوك امرأتك ؟

في إحدى العاينهم العابثة بأقدار الكون

الشاعر

حقاً يا سيدتي

المرأة الثالثة

هل هي حلوه ؟

الشاعر

يتسبب الحسن إليها ، لا تنسب للحسن

المرأة الثانية

هل هي أحلى مني ؟

المرأة الثالثة

أو مني ؟

الشاعر

سيدتي الطيبتين !!

المرأة الثانية

لا تقدر أن تنساها

دعنا نمزج لك كأساً من نهر النسيان

بنثار من مسك الرغبة

عندئذ قد تتوجَّهُ قافلةُ رغائبك نحو الكوخين السريين
حيثُ تنامُ وتشربُ ، لا تأبه
أو ترجعُ عن قصدك كي تتوجَّهَ للكونِ العلويِّ
فلكم عادَ كثيرٌ من أمثالكُ

الشاعر

لا .. سيدتي الطيبتين
الغاليةُ هناك ، قد استبقتُ قلبي
أخشى أن أبطى عنها ..
أبغي أن أرجعَ معها للنهرِ الليلةُ

المرأة الثانية

افتحن البوابةَ يا جنَّياتِ الجبلِ السحري
اذهب ... مصحوباً بأحرَّ الدعواتِ

المرأة الثالثة

«مجهشة بالبكاء»

بأحرَّ الدعوات .. بأحرَّ الدعوات
يتأثر قلبي بالإخلاصِ إلى أن أوشك أن أبكي

الشاعر

ما أكشفَ هذي الظلمات الجهمه
ظلماتُ تهوي قطعاً متلاحقةً كسماٍ سائلةٍ سوداءٍ

لو تنحسرُ الظلماتُ قليلاً
فأنا أنقلُ قدمي ، لا أبصرُ موضعها
وكانَ هواءٌ مكتوماً ينقلُ خُطوتها العرجاء
من شبرٍ في شبرٍ آخرُ
آه ... لاحتْ بعضُ الأضواءِ
ما هذا ... لافتةٌ فوقَ القصرِ الموحِشِ
محكمةُ الأقدارِ !!

«يرطع الستار عن قاعة العرش ، وقد تحولت إلى محكمة ، في الطابق العلوي يجلس القضاة الثلاثة ، وهم الوزير والمؤرخ والقاضي ، وقد أداروا وجوههم للجمهور ، بينما يقف الملك والملكة متبادلين في الركن الأيسر ، والمنادي في أحد الأركان ... حين يدعبل الشاعر يصيح المنادي ..

المنادي

محكمه ... كمه ... كمه

الوزير

«لشاعر»

أفصح عن شكواك

الشاعر

يا سادتي قضاة الأقدارُ

يا أهلَ الحكمة والعدلِ

الوزير

«لصاحبه موهوا»

يعرفُ من نحن ...

القاضي

هل يجهلنا أحد من أهل الأرض
ونخيوطُ مصائرهم تتأرجحُ في أيدينا ؟

المؤرخ

لا أدري لِمَ يُلقُونَ خيوطَ مصائرهم في أيدينا
بدلاً من أن يستبقوها في أيديهم ؟

الوزير

كَيْ نحيا في هذا الإزعاج الدائم ...
أَيْنَ الخصم ؟

الشاعر

هذا ...

الوزير

هل هو ملكك ؟

الشاعر

«موالفاً برأسه»

الوزير

ما عملك ؟

الشاعر

شاعر

الوزير

هل أبطأ عنك المنحة

أم حَجَبَ علاوتك السنويه ؟

الشاعر

أَخَذَ امرأتي

الوزير

ما رأيك يا سيد (عَفْوَاً مع حفظ الألقاب)

فالكلُ سواء في شرع قضاة الأقدار

الملك المتمكنُ ... والصلعوك ... الصلعوك ...

القاضي

«مكلاً»

التمسكن

الوزير

نعم ... والصلعوك التمسكن

الملك

هيَ ملكي

فأنا استحوذتُ عليها بالسيف

الشاعر

لم تكْ مُلكاً له
بل كانت في أَسْرَةٍ
ما يصبحُ ملكاً لك
هو ما تعطيه من نفسك ، لا ما تسلبه نفسه
هو زرعُ ينمو في ظِلِّكَ لا يَصْفُرُّ ولا يَذْبُلُ
هو ذَهَبٌ يتشكّلُ بين يديكَ
لا ذهبٌ تَكْتِرُهُ خلفَ جِدَارٍ
هو نِيعٌ تكشف عنه حتى يتبسّمَ ماؤه
لا نِيعٌ تطمرُهُ بالأحجارِ

الوزير

كلماتٌ لا بأس بها ...

الملك

لا .. يا قاضي الأقدارِ
لا يخدعُكَ الشاعرُ بمحارِ اللفظِ الثرثارِ
الفارغِ من معناه الواضحِ

الوزير

حقاً .. لا يخدعُنا الشاعرُ بمحارِ اللفظِ الواضحِ
الفارغِ من معناه الثرثارِ

الملك

استحوذتُ عليها بالسيفِ البتَّارُ
وحرصتُ عليها حرصَ البحرِ على لؤلؤهِ ،
إذ يخزنه في باطن نفسه
لم ترها عين منذ وضعت عليها كفاي الحانيتان
كنت أخاف عليها أن يزعج هدأةَ نفسيها
ما قد تبصره من عبث الأزمان
حوطتُ عليها بالظل الداكن
حتى لا يُذبلَ وهج الشمسِ المحرقِ
ما تحمله من زهرٍ متألق

الشاعر

ماذا أعطيت لها ١٩
عاشت كالتمثال البارد في باب مدينة أشباح

الملك

أعطيت لها ما لا يقدر أن يعطيهِ إلاي
استقرارَ الدهن المرتاح
وصفاء القلب الخالي مما يُخزنُ أو يُفرح

الشاعر

ما تذكره يُدعى باسم آخر

يُدْعَى بالموت
لكنني أعطيتُ الحبُّ
أعطيتُ المستقبل
كانت تنتظر عطائي كالأرض القَلِقَة
إذ تنتظرُ خطابَ الريحِ الحَامِلِ للأخبارِ الساره
أخبارِ الخصب
الملك

لا تهفؤ في الحقِّ .. قضاةَ الأقدارِ
فهي امرأتي بالسيف وبالماضي
فوق مُلَاعِئِهَا يَسْقُطُ ظِلِّي

الشاعر

لا .. أقضاةَ الأقدارِ
فهي امرأتي بالحبِّ وبالمستقبلِ
في باطنِهَا يتَخَلَّقُ طِفْلِي

الوزير

والآن ...

هاكم ما قرَّرَ عليه قرارُ قضاةِ الأقدارِ
قررنا أن يتقاسمَ هذان الرجلانِ
(عفواً ... مع حفظ الألقاب)
هذه المرأةُ

هذا الرجل تَمَلَّكَهَا بالسيف
فَلَهُ الرَّأْسُ ، وما تحتَ الرأسِ إلى قربِ الخَصْرِ
هذا الرجل استودعها طفلاً
فَلَهُ ما تحتَ الخصرِ إلى أخمصِ قدميها
انتهت الجلسة !

يا جلاد ... نفذ ما قضت المحكمة به الآن

الشاعر

« صارخاً »

بشَّ قضاؤكم الظالم
ما أخيبَ ما ضيّعتُ من الجهدِ
أينَ السيف ؟

الجلاد

« يتقدم منه حاملاً سيفه ومهدداً » .

الوزير

نفذ ... يا جلاد

الشاعر

مهلاً أقضاة الأقدار
إن يك هذا هو حكمكم المبرم
تمزيق الجسدِ وسفحَ الدمِ

فأنا أتركها له !

فأنا أتركها له !

« ستار تقف أمامه النساء الثلاث »

المرأة الأولى

هذا أيها السيدات والسادة هو الحل الأول ... الاحتكام إلى قضاة
الأقدار .

المرأة الثانية

لقد قضوا بتمزيق جسد المرأة ، وتفريقه كأنه ورقنا لعب بين
الموت والحياة .. بين الملك والشاعر

المرأة الثالثة

ولعل هذا الحل هو ما يسمونه في الأيام الحديثة بالتسوية بين
الأطراف المتنازعة ، أو المصالحة بين الاتجاهات المتباينة ، أو
بالتعبير العامي « قسمة البلد بلدين » .

المرأة الأولى

وهو حل يخسر فيه عادة صاحب الحق ، وما قصة سليمان واحتكام
المرأتين ، الأم الحقيقية والأم المدعية ، ببعيدة عن أذهاننا ، وقد
سمعها كثير منا من جداتهم ، وأمهاتهم ، أما الذين لم يسمعوها
لنقص في المعلومات الفولكلورية في عائلاتهم ، أو لأنهم ينحدرون
من أسرة كريهة لا تعرف هذا التراث الشعبي ، فلا بد أنهم

— كمتقفين — قرأوها في مسرحية بريخت المشهورة دائرة الطباشير القوقازية .

المرأة الثانية

لقد قضى سليمان أن تشدّ المرأتان الطفل ، كل من طرف ، فتنازلت عنه الأم الحقيقية لأنها لا تتصور أن يتعرض جسد طفلها الرقيق لهذا العنف الممزق .

المرأة الثالثة

وحينما تنازلت عرف سليمان أنها هي الأم الحقيقية ، ولكن أين لنا بحكمة سليمان ... الذي كان اسمه سليمان الحكيم .

المرأة الأولى

والآن لنقدم لكم الحل الثاني ... الانتظار

المرأة الثانية

لقد انتظر الجميع ... انتظرت الحاشية حتى يعود الجلال ، عاماً .. عامين .. عشرة أعوام .. عشرين .. وما زالت تنتظر حتى يرفع الستار ..

وانتظر الشاعر والملكة حتى يولد الطفل ، ثم انتظرا حتى يكبر ، ثم انتظرا حتى يعلماه الحكمة والشعر ، مع قليل من اللعب بالسيف ، وحين أتم عشرين عاماً عادا به إلى القصر .

والآن يرفع الستار

يرفع الستار ، القصر كتيب عاليت ، ينق البوم في جوانبه وتمشش العناكب في أركانه ، الحاشية
ما زالوا يجلسون على درجات الدرج ، وقد طالت لحاهم حتى مسّت الأرض .

الشاعر

يا أنتم ... يا نّوام

الوزير

من أنتم ؟

الشاب

هل هذا هو قصري الموعود ؟
بيتٌ خربٌ تنعقُ فيه البوم ويرعى الدودُ
ما أتعسَ هذي الرائحة الملعونة
رائحة الموتِ المخزون

الملكة

حقٌ يا ولدي ... هذا هو قصرك

الوزير

« وهو ينظر بصعوبة ، ويتذكر بمشقة بالغة »

هذا ... الشاعر ... هذي الملكة لو صدقت عيني لكن من هذا
الشاب ؟ وأين الجلاّد ؟

الشاعر

إن تكُن الأسماكُ أساغتُ طعمه

فهو الآن حبيس في بطنِ الحوتِ الأبدِي النَهمِ
أما إن كانت قد لفظته للأرضِ
فأساغت جثته المهترئة

فهو الآن بلا شكِ قطعةُ قرميدٍ صَدِئَةٍ
أو عُصْنٍ في إحدى الأشجارِ السَّامَةِ

الوزير

«مثالب»

كنا ننتظره
لكن النوم عنيدٌ لا يَرَّحَمُ
وخصوصاً في هذا السن المتأخرِ
أرسلناه كي يأتيَ بالملكِ

القاضي

ها هي ذي جاءت بإرادتها الحرة
لا يعنينا شأنُ الجلادِ
فلتصعد هي كي ترقُدَ جنبه
حتَّى يخرجَ منه طيرُ الموتِ الأسودِ

الشاعر

حسبك يا مجنونُ
صار الملكُ تراباً من أزمانِ

اكشف عنه .. تجدد الطحلب ينمو فوق فراشه
إصعد ، واكشف عنه !..

القاضي

«يصعد متهاكاً لينظر إلى الملك ثم يعود»

حقاً ... فقد اهترأ الثوب
صار الملك تراباً ينبت فيه بعض العشب
يظهر أنا نحنأ زمنا
من هذا ؟

الشاعر

هذا صاحب هذا القصر
هذا .. المستقبل

المؤرخ

هل هذا اسمه ؟
دعني أكتب هذا في أوراق
يا للعجز الملعون
لا أبصر هل هذي الورقة خالية أم مكتوبة

الشاعر

هذا ابنُ الملكة
ابنُ الأعوام العشرين

هذا ذو حق جاء ليأخذ حقّه
فليجلس في عرشه

الوزير

فليأخذ ما شاء

وليجلس حيث يريد
إنّا نبغي أن نُخلد للنّوم

الملكة

يا ولدي ... إعتقد تاجك فوق جبينك
وتربع في عرشك

« يحاول الشاب أن يضع التاج على رأسه ، فابتدت قطعاً . يجلس على كرسي العرش ، فينهار به ،
يحاول أن يحركه ، فتتهز جذران الغرفة وتسقط أستارها .. يخوض في العناكب » .

ما هذا ؟ قصر ملعون لعنته جنيات الموت العطشى ،
للتخريب وللهدم

لا أبصر حولي إلا ما هو منهار ساقط
أو مهلوم متحطم

عللّ كامنة في التاج ، وفي خشب العرش ،
وفي جذران القاعة ..

في الأستار وفي درجّات السلم
في شعر ليحى هذي الأشباح المرتاعه
أهيّ السوس أم الموت أم اللعنة

ماذا أفعل ؟

ماذا أتلقى من جائزة بعد الحلم ربيعاً إثر ربيع ؟

بتخوم المستقبل ... ؟

بل من أين بداية عهدي

من أية بداية ترميم الملك المتهم

أبدأ من هذا الركن المعتم

أم من هذا الركن المتهدم ... ؟

سأزيل بقايا الماضي وأعيد بناء القصر

الوزير

لن تقدر يا ولدي .. لن تقدر

إننا محبوسون بهذي الغرفة

فقد احتل أمير البر الغربي

بأقي غرف القصر

«ستار ، تلف أمامه النسوة الثلاث»

المرأة الأولى

هذا هو الحل الثاني ... سيداتي سادتي ... ولا ندري هل أعجبكم -

درامياً بالطبع - أم لا ، فنحن نحكي لكم حكاية وهمية كما

ترون ، ولكننا سنعرض عليكم الحل الثالث كما وعدناكم ،

وفي إمكانكم عندئذ أن تقارنوا بين الحلول المختلفة .

المرأة الثانية

وكما وعدناكم أيضاً فإن الحل الذي تختارونه الليلة هو الذي سنقدمه وحده غداً ، بعد أن يَمْطسه المؤلف أو يَرْجُل الممثلون بعض العبارات لكي نملأ به كل وقت الفصل الثالث .

المرأة الثالثة

والحل الثالث يبدأ بعد أن يغفو الشاعر مع الملكة في كوخهما ، ثم يهباً في الصباح للملاقاة المستقبل مبتسمين سعيدين بليتهما ، منطلقين إلى معركتهما . أما الخياط ، فلا بد أن يكون وراءهما في مكان ما . لنقف بعيداً لنرى ما يحدث .

« الشاعر والملكة يخرجان من الكوخ ، سيف الجلاد مستند إلى جدار الكوخ » .

الملكة

هل هذا سيف الجلاد ؟

الشاعر

أجل

دَلَّيتُ حِمَائِلَهُ مِنْ كَتْفِهِ

وَعَقَدْتُ بِهَا مِقْبَضَ سَيْفِهِ

حَتَّى أَتَقَلَّدَهُ فِي الصَّبْحِ

الملكة

أَيْنَ الْكَتِفِ الْجُرْدَاءُ ؟

الشاعر

ألقيت بها في ماء النهر ؟
مع باقي الأشلاء

الملكة

هل غادرت فراشك في الليل ؟

الشاعر

حين رأيتك قد أغفيت سعيدة
تتمطين كما يتمطي النبع الريان
قمت قليلاً ، ثم رجعت

الملكة

دعني أبسك السيف

الشاعر

«راكماً»

لأكن فارسك الشاعر

الملكة

لتكن شاعري الفارس
دعني ألقى منك العهد
أن مخلص لي الود
أن تعطيني قلبك وذراعيك

الشاعر

أقسم

الملكة

هل تُقسِمُ أن تعطيني كلماتك
تغني لي حتى يتمايل عطفائي من الخيلاء
عندئذ يساقط مني ثمر يشبع جوع البسطاء

الشاعر

أقسم

الملكة

هل تُقسِمُ أن تصحبني في رحلتي مع الشمس الذهبية
وسراي مع الأقمار الدوارة كل مساء
لا تتركني أبداً أمشي وحدي أو أحلم وحدي

الشاعر

أقسم

الملكة

انهض يا شاعري الفارس

الشاعر

هيا نمضي .. هل دبّرت الأمر ؟

الملكة

أتركُ لك هذا التدبيرُ

الشاعر

بل أتركهُ للسيفُ

« يمشيان في طريق القصر ، حتى يقفا أمام الستار ، لينتجعا عن قاعة العرش ، يدخلان ، يصبح
المنادي » .

المنادي

الملكة .. كه .. كه .. معها الشاعر .. عر .. عر

« يهبُ الوزير والقاضي والمؤرخ وقوفاً »

الوزير

أين الجلاذ ؟

هل أقنع مولاتي أن تأتي راضية مرضية
كي تغفي جنب جلالته طَوْعاً لإرادته الملكية
حقاً ... ما أنبل قلبك يا مولاتي

الملكة

بل ما أغبى عقلك أنت

الجلاذ الآن

« للشاعر »

أكمل

الشاعر

إن كان النهر قد اختزنه
فهو الآن وبالذات
يبحث عن جوهرة ضاعت من إحدى جداته
في معدة إحدى السمكات

المورخ

هل تعني أن الجلاذ .. غرق

الشاعر

بل مات قتيلًا
واستخلفني سيفه
أعني ... أنا أسلمناه إلى حتفه
«يستل السيف ، ويرفعه في وجوههم»

القاضي

ماذا تبغي ؟
أغمد هذا السيف الباتر
نحن نطيعك فيما تأمر

الشاعر

أنا لا أبغي شيئاً
لكن مولاتي قد تبغي بعض الأشياء

القاضي

مولاتي ...

ماذا تبغين ؟

الملكة

أبغني مُلكي ... أبغني هذا القصرُ

الوزير

لك

الملكة

لي .. ولما أَحْمِلُهُ من مستقبلٍ

الوزير

مستقبلٍ

الملكة

الطفل

الوزير

طفلُ الملكِ الراقدُ

الملكة

بل طفلُ النهرِ الخالدِ

المؤرخ

مَنْ ؟

١٤٦

الملكة

طفل الجرح المفتوح

ككتابٍ قدسي

والسيفِ الناطف كالوحي

القاضي

لا أبصر طفلاً يا مولائي

الملكة

لا بد سيأتي

المستقبلُ لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ

أصدق وعد هو وعد يضربه بطن الأم

المؤرخ

لكن الملك دعاك إليه

الشاعر

بل هو يدعوكم أنتم

القاضي

بَلْ سَمِعْتَهُ أَذُنِي يَدْعُو الملكة

الشاعر

إِنَّكَ كاذب

لا يدعو الموت إليه سوى الموتى

هيا فليحمل كل منكم طرفاً من جثة ملككم الميت
وامضوا به

ثم ضعوه في مقبرته

وأقيموا معه حتى يأنس خاطره بالموت

امضوا .. امضوا .. أو يفرغ فيكم هذا الغاضبُ غَضَبَهُ

«يدفعهم بالسيف ، فيهرعون ، ثم يتجه إلى النادي»

أنت اذهب معهم ، لتنادي حين يجيء قمامة موتى التاريخ

لزيرة سيدكم في حفرة الرطبة

إذهب .. إذهب

«يقف الملكة والشاعر متشابكي الأيدي ، فيبصران الخياط يدخل خجلاً ... تناديه الملكة» .

الملكة

أنت ... تقدم

ستكون نديمي وسميري

أعرف أنك لا تتكلم

يكفي أن أسمع مذبحة كلامك في حلقك

يكفي أن أسمع صوتك

يكفي أن أسأل نفسي أحياناً : أين لسانك

عندئذ يمثل في وجداني تاريخ الماضي كله

الشاعر

مولاتي ... من حاشيتك ؟

الملكة

حاشيتي الناس جميعاً
أفتح بابي للمرضى والفقراء
والعشاق وطوّافي الطرقات وأهل الحِرْفَةِ والأجرّاء
سنعيشُ جميعاً في هذا القصر الموحش بالصمت الميّتُ
حتى نملأهُ بضجيجِ أمورِ البَشَرِ الأحياءِ
نتقاسمُ شقوتنا في أيام الشقوة كالجزية
وسعادتنا في أيام الفرحة كالسكر اللألاء

الشاعر

مولاتي !

ما أكرم قلبكُ

الملكة

.. هل ستظل معي ؟

الشاعر

في جنبك يا حبي ...

الملكة

« يتحفظ »

إني الآن الملكة

لكن ذكراك بقلبي

الشاعر

« في عبادة وهو رائع »

مولاتي .. مولاتي

ما أروعك منورة في قصرك

وأنا تابعت الممثل لأمرك

الملكة

بل تابعي الفاني في حبي

الناسج لي أحلام المستقبل

المتغني بالصبح الأجل

الصبح الأجل

« بهبط الستار ، وقف أمامها النسوة الثلاث »

المرأة الأولى

هذا هو الحل الثالث ... أيها الأصدقاء ، واسمحوا لنا أن نتادىكم

بهذا النداء ، بعد هذه الليلة التي سهرناها معاً .

المرأة الثانية

والآن

أي الحلول الثلاثة قد أعجبكم .. ارفعوا أصواتكم بالرد ... إذن

لن نعرض عليكم غداً غيره ، وكذلك في الأيام التالية إلى أن

ينتهي هذا العرض ، ويحل محله في هذا المسرح عرض جديد ،

يستدعي سؤالاً جديداً .

وإلى اللقاء ... لا ... معذرة ... لقد نسينا أن نقدم لكم أنفسنا ،
وستتولى زميلتي هذا التقديم .

المرأة الثالثة

أنا

أما زميلتي هذه فهي

وهذه هي

أما الممثلون الآخرون ، فهم :

..... في دور الملكة

..... في دور الشاعر

..... في دور الملك

..... في دور الوزير

الخ .. الخ .. الخ

« يضاء المسرح »

مطابع الشرق

بيروت: س ٨٦١ - هاتف ٣١٨٨٩ - ٣١٨١٠ - ريفي كاشوري - تلکون: ٢٢١٧٥ RHOXK
 القاهرة: ١٦ شارع حجاز حسي - هاتف ٧٧١٨١٦ - مريفا، شروق - تلکون: ٢٢٠٠١ RHOXK UN

3

156 / 157

To: www.al-mostafa.com